

مَوَاقِفُهُ: مِنْ حَيَاةِ عُظَمَاءِ الْإِسْلَامِ

دراسة تربوية تعليمية في نماذج مختارة

اسم الكتاب : **مواقف: من حياة عظماء الإسلام**
دراسة تربوية تعليمية في نماذج مختارة
تأليف : د. عبد الجود أحمد السبيوطى
د. السيد عزت السيد أبوالوفا
اخراج فني : هياام فهيم
رقم الإيداع : 2023/8697
الترقيم الدولي : 978-977-86642-5-6
الناشر : اسکرایپ للنشر والتوزیع



Scribe20199@gmail.com



Phone & what's app:

002 0100 50 792 56

002 011 40 71 4600



دار اسکرایپ للنشر والتوزیع



جمهورية مصر العربية

حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

لدار اسکرایپ للنشر والتوزیع

لا يحق لاي جهة طبع أو نسخ أو بيع هذه المادة

بأي شكل من الاشكال ومن يفعل ذلك يعرض نفسه للمساءلة القانونية

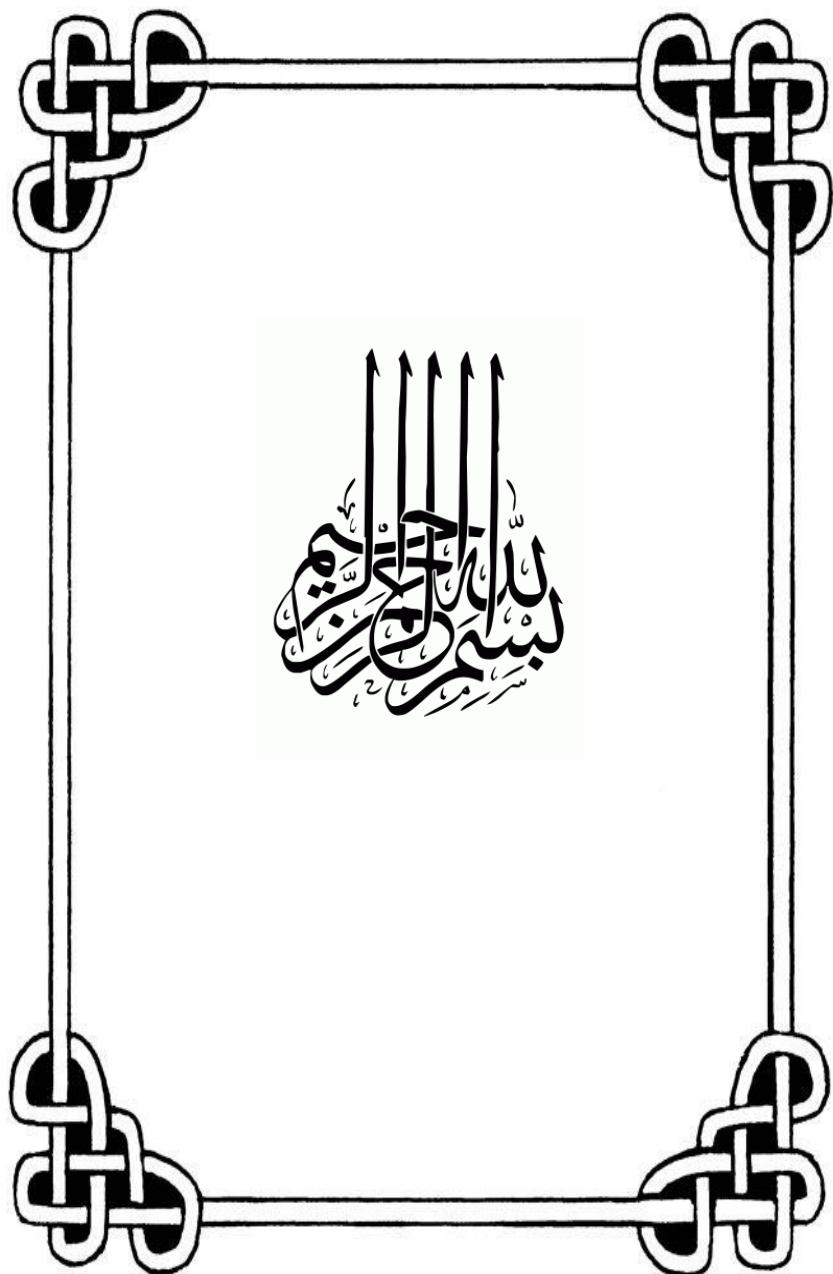
مَوَاقِفُ : مِنْ حَيَاةِ عُظَمَاءِ الْإِسْلَامِ
دراسةٌ تربويةٌ تعليميةٌ في نماذجٍ مختارة

تأليف

د. عبد الجود أحمد السيوطي

د. السيد عزت السيد أبوالوفا





إهداه

إلى الأخ الفاضل الدكتور سعيد بيومي.
ذلك العَلَمُ الْبَادِخُ في الخير وللخير، والله حسيبه،
الساعي في خير الناس ومنفعتهم.

حباً واحتراماً وتقديراً.

سائلين الله تعالى له تمام الصحة والعافية، ودوام
ال توفيق والسداد، وأن يرزقه الله خيري الدارين.
المؤلفان

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وآله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد:

فهذا كتاب "مَوَاقِفٌ مِّنْ حَيَاةِ عُظَمَاءِ الْإِسْلَامِ" دراسة تربوية تعليمية في نماذج مختارة)، وهو كتاب تعليمي تربوي، يهدف لتقرير حيوات عدد من عظماء الإسلام غير المشهورين معظمهم، ومدارسة سيرتهم وتقرير تضحياتهم وموافقهم المشرفة تجاه هذا الدين، ولصالح هذه الأمة المباركة للطلاب الأعاجم خاصة، أولئك أعلام الذين لم يسمع بهم - غالباً - مثل هؤلاء الطلاب ولم يعرفوا عنهم شيئاً.

ولا يخفى على كل عاقل غيور محب لدينه وأمته مدى أهمية التربية الصحيحة وأثرها على الأفراد والمجتمعات، فهي الأساس الأمثل والطريق الأقوم في سبيل النهوض بأمة الإسلام، واستعادة مجدها الموعود، وأنها السراج المنير في خضم هذه الأمواج المتلاطمة والعواصف الشديدة التي تأخذ الأمة يمنة ويسرّة، بإغراق شبابها وإفسادهم وإبعادهم عن الطريق المستقيم إما بالشهوات أو بالشبهات، وهم أهم ثروتها وسر نهضتها، وأعز ما تملك. والتربية الحقيقية الجادة المثمرة تعتمد فيما نحسب على الوعي بالقيم الإسلامية الصحيحة وفهمها وهضمها واستيعابها، ثم تطبيقها تطبيقاً سلوكياً وحيانياً سليماً، ثم متابعتها باستمرار بالتقدير والتقويم عند المتقلين، ومن ثم تكرارها حتى تقرّر فتصبح جبلة¹ وخلقاً وديناناً مألفاً عندهم، راسخاً في تعاملاتهم.

1 - الجبلة: الخلقة. ج جبالات.

2 - الديدان=الدين=العادة.

لهذا حرصنا في هذا الكتاب أن تكون معالجة الكتاب تربوياً، وذلك عن طريق سرد بعض القصص التاريخية لطائفة من سير عظماء هذه الأمة المجيدة، والتركيز على شيء من مواقفها الخالدة، تلك التي نفعت الأمة جميعاً، وأناسها، وخدمت رسالتها الخالدة، ومثل هؤلاء الأعلام الذين يصدق فيهم وعليهم أنهم عاشوا في الظل، فلم يشتهروا كما يستحقون، ولم يكونوا تحت الأضواء شأن أغيارهم من العظماء الذين عاشوا ملء السمع والبصر^٣، وماتوا وما زالون ملء السمع والبحث والنظر؛ وذلك لما للقصة من التأثير الكبير على النفس والروح، وحسن الواقع التربوي على القلوب والأفهام، وبخاصة عند الفئة المستهدفة – الصغار والشباب – عماداً هذه الأمة، وسرّا قوتها اللذين استهدفهما الأعداء من الداخل والخارج؛ حتى يقعوا فريسة لهم عن طريق الشبهات والشهوات ومن ثم يسهل عليهم بعد السيطرة على العقول احتلال الأرض والعرض، واستلال الشخصية وتذويب الهوية في أجنبائهم السحرية.

أما لماذا آثرنا الحديث في هذا الكتاب عن هؤلاء العظماء من غير الصحابة الكرام؟ حيث لم نأخذ من الصحابة الأبرار إلا واحداً فقط (ليس مشهوراً جداً كالخلفاء الأربع مثلاً) وله أمر كبير في دخول الإسلام في بلاده، وكلهم عظماء في نفوتنا وقلوبنا، ونحسّبهم أخيراً جميعاً عند الله تعالى وعند رسوله صلوات الله وسلامه عليه؟ فذلك لأن شخصيات الصحابة الكرام

3 - يقال: هو "ملء السمع والبصر": أي هو يملأ السمع بذكره، ويملأ البصر بهاته.

4 - يقال: إستلبتهُ أفكارُ الغرب: خضع لتأثيرها وكان عاجزاً عن السيطرة على نفسه.

5 - هُوَيَّةُ الْإِنْسَانِ: حقيقة المطلقة وصفاتها الجوهريّة. والمقصود بـ"تذويب الهوية": تضييعها وإصابة أصحابها بالشك في قدراته، وتبدير طاقاته فيما لا يفيد، وإشعاره بالعجز عن تغيير واقعه للأفضل، فيركن إلى الكسل والإحباط والخمول وبالضرورة عدم الإنجاز.

المشهورين رضي الله عنهم أجمعين ^{تُنُولْتَ}⁶ بالبحث والدراسة وعرض الترجمات بدرجة أكبر وأعمق وأكثر من غيرهم، حتى صارت أسماؤهم كالاعلام الرواسي مشهورة وثابتة، وموافقهم المشرفة المشرفة ذاتعة معروفة، بيد أن الكثير من المسلمين، أو قل عامتهم، لا يعرفون العديد من الشخصيات الإسلامية التي غيرت - مع أولئك المشهورين - تاريخ الإسلام نحو الأفضل الإسلام، وساهمت في تحقيق عزة الشعوب والأمم الإسلامية في شتى أقطاره.

ووفق ذلك اخترنا طائفة من هذه الشخصيات العملاقة التي لم يكتب لأسمائها أن تشتهر وتذيع سيرها على ألسنة الناس بما تستحق، على الرغم من أدوارهم غير المنكورة التي أنارت العالم سواء عن طريق ما أضافوه من الفقه الإسلامي والعلم الذي أنار الدنيا، أو ما بذلوه من ألوان الجهاد على تنوعها، أو بما صدحوا ⁷ من كلمة الحق في وجه الطواغيت والجبابرة، أو بما أنفقواه من المال والنفس في سبيل الله ورسوله، أو بما جاهدوه بالسيف، أو بما قدموه وهم في مناصبهم الرفيعة التي تقلدوها فخدموا بها الإسلام أياماً خدمة، وغير ذلك منمن سترتهم في هذه الصفحات التي نحاول أن نبين شيئاً من تاريخ هؤلاء وترجماتهم، لافتين انتباه القارئ الكريم فيه لبعض الطرق العملية والتطبيقية؛ للإفادة من أمثال هؤلاء العظام في خدمة دينهم وبلدهم وأمتهم، بغية أن نرتقي نحن كأفراد ومجموعات وشعوب، حتى نصل إلى ما يريده الله ورسوله منا جميعاً، فنكون أمة ناهضة متقدمة في كل المجالات والميادين على يد أبنائهما، وليس أمة متأخرة بسببيهم، أمة متبوعة من الجميع لا تابعة مُنسقة، أمة نُقلَّدُ لا تُقْلَدُ؛ لأنها أحق بذلك وأجدر؛ لما لها

6 - ^{تُنُولْتَ}: تناولها الناس قراءة ودراسة وتعليمًا وتعلماً.

7 - صدح بالحق: أعلى صوته به.

من مقومات حبها الله بها، ومزايا ليست لغيرها، وفَرَادَاتٌ⁸ لم تكن إلا لها، ذكرها الله سبحانه في قرآن الكريم فقال جل في علاه: "كُتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ" (آل عمران - 110). وهذا لا يتحقق إلا على يد أبنائنا الصالحين المصلحين، وكم عندنا في تاريخنا الإسلامي من العظماء الكثير والكثير جداً وإن جهلهم كثير من طلاب العلم فضلاً عن غيرهم، وهذا ظلم كبير لهم. على أننا ببنينا الكتاب وفق منهجية ثابتة تبدأ بالحديث عن حياة كل شخصية من هذه الشخصيات وأبرز مواقفها، مبتدئين بتعریف لها مبسط إلى القارئ الكريم، مع محاولة إسقاط هذه المواقف على واقعنا وحياتنا وكيفية الاستفادة منها في واقعنا. وختمنا كل موضوع بطائفة من الأسئلة التفاعلية التي تهدف لغرس القيم، واستنهاض الهمم، والبحث على الفهم والمناقشة والتحليل وإبداء الرأي، واستخلاص الدروس والعبر.

وبعد، فلسنا ندعّي أننا أتينا في هذا الكتاب بما لم يأته الأوائل !! كلاً كلاً !! إنما هي محض ومضات تربوية تعليمية ناجزة - نرجو أن يكتب لها القبول عند الله أولاً ، وأن يتفعّل بها صغارنا وناشئتنا من أبناء جلدتنا ثانياً؛ وأن تكون نبراساً يُضيء لنا ولهم ظلمات كثيرة، ويكشف عن معالم شامخة في تاريخنا العظيم تهدينا وإياهم إلى سُبُل الرَّشاد.

والحمد لله أولاً وآخرًا..

8 - الفَرَادَة: ما يتفرد به الشخص عن الآخرين.

9 - النبراس: المصباح. ج: نباريس.

١- ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْأَزْدِيِّ وَأَجْوُرُ لَا تَنْقُطُ!

التعريف به

هو ضِمَادُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْأَزْدِيُّ، صحابي من أَزْد شنوة^{١٠} من أهل اليمن، كان صديق النبي ﷺ في الجاهلية، وكان له علم بالطب والرقى^{١١}، وكان رجلاً صاحب قلب أبيض ناصع طاهراً نقياً طالباً للعلم، كان حبُّه للخير سبباً في دخوله الإسلام، بل وحاز به شرف إدخال الإسلام لليمن للمرة الأولى على يديه. وأهل اليمن مباركون يتغلغل^{١٢} حبهم في قلب من يراهم ويختلطون^{١٣}، ويحبُّهم يتقربُ المرء إلى الله ورسوله، فهم من أطيب الناس قلباً وخلقًا وأكثرون تواضعًا وأدبًا، كيف لا وهذه شهادة من الرسول ﷺ لهم، حيث قال في الحديث عن أبي هريرة "أتاكم أهل اليمن هم أرق أفندة وألين قلوبًا". رواه البخاري.

١٠ - أَزْد شنوة أو شنوة: اسم لمجموعة من القبائل العربية تنتمي إلى الأَزْد، وشنوة لقب يطلق على الحارث أو عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأَزْد أو على نصر بن الأَزْد وبنيه، وهم من أكبر بطنون الأَزْد، ومن قبائلهم الشهيره: دوس، وغامد، وزهران، وثماله، ولهب وكانت منازلها في مأرب جنوب جزيرة العرب.

١١ - الرُّقْيَةُ: العُوذَةُ التي يُرْفَى بها المريض ونحوه والجمع: رُقَى.

١٢ - تغلغل: انتشر وتتوغل واحتقر.

١٣ - يختلط الناس: يعيش معهم وينتهم.

قصة إسلامه رضي الله عنه

روى ابن سعد عن ابن عباس، قال: قدم رجل من أزد شنوة، يقال له (ضماد) مكة معتمراً، فسمع كفار قريش يقولون: محمد مجنون!، فقال: لو أتيت هذا الرجل فداويته. فجاءه فقال له: يا محمد إني أداوي من الريح، فإن شئت داويتك لعل الله ينفعك. فتشهد رسول الله ﷺ، وحمد الله وتكلم بكلمات فأعجب ذلك ضماداً، فقال أعدها عليَّ، فأعادها عليه، فقال: لم أسمع مثل هذا الكلام قط، لقد سمعت كلام الكهنة^{١٥} والسحر، والشعراء فما سمعت مثل هذا الكلام قط، لقد بلغ قاموس البحر يعني قعره - وهذه الكلمة يقصد بها غاية الثناء والمدح - فأسلم وشهد شهادة الحق، وبايده على نفسه وقومه. وسبحان الله، فقد كان ضماد الأزدي من أسرع الناس إسلاماً، بعد الصديق^{١٥} وخديجة^{١٦} وعلى^{١٧} وزيد بن حارثة^{١٨} الذين أسلموا منذ اليوم الأول، وهذا فضل الله يؤتى به من يشاء.

- 14 - رَجُلٌ كَاهِنٌ: مَنْ يَدَعِي مَعْرِفَةَ الْأَسْرَارِ وَأَحْوَالِ الْغَيْبِ. ج: كهان وكهنة.
- 15 - أَبُو بَكْرِ الصَّدِيقِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ التَّيَمِيِّ الْقُرَشِيِّ هُوَ أَوْلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَأَحَدُ الْعَشْرَةِ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَهُوَ زَوْرُ الرَّسُولِ وَصَاحِبُهُ، وَرَفِيقُهُ عِنْدَ هِجْرَتِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.
- 16 - خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ الْقُرَشِيَّةُ؛ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَأُولَئِي زَوْجَاتِ الرَّسُولِ وَأُمُّ كُلِّ أُولَادِهِ ما عادَ ابْنَهُ إِبْرَاهِيمَ.
- 17 - أَبُو الْحَسَنِ عَلَيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْهَاشِمِيِّ الْقُرَشِيِّ ابْنُ عَمِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ وَصَهْرِهِ، مِنْ آلِ بَيْتِهِ، وَأَحَدُ أَصْحَابِهِ، هُوَ رَابِعُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ.
- 18 - زَيْدُ بْنِ حَارِثَةَ صَحَابِيٍّ وَقَائِدًا عَسْكَرِيٍّ مُسْلِمٍ، كَانَ مَوْلَى لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ قَدْ تَبَاهَ قَبْلَ بَعْثَتِهِ، وَهُوَ أَوْلُ الْمَوَالِيِّ إِسْلَامًا، وَمِنَ السَّابِقِينَ الْأُولَئِينَ لِلإِسْلَامِ، وَالْوَحِيدُ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الَّذِي ذُكِرَ اسْمُهُ فِي الْقُرْآنِ.

قمة الأدب مع رجاحة العقل

ومن هذا الكلام من ضماد ظهر أدبه مع الله في علمه بالله، وما ينبغي إثباته لله - عز وجل - حيث ذكر لنفسه أنه يُرقى أي يعالج، وأثبتت الله - سبحانه - أنه هو الشافي، حيث قال: "لعل الله يشفيك على يديّ" ، ومن بالغ أدبه أنه علق الشفاء بمشيئة الله، فمع الأخذ بأسباب الشفاء، يبقى الأمر لله يشفى من يشاء، فقال ضماد: " وإن الله يشفى على يديّ من شاء" ، ولنلاحظ أن هذا الأدب مع الله من قبلِ رجل لم يُسلم بعد!

أما أدبه مع رسول الله ﷺ فإنه لم يصفه بالمرض مباشرة، ولم يُضاف إليه أي كلمة مما اتهمه بها سفهاء مكة، من الجنون والشعر والكحانة وغيرها، لكن لأدبه الجم¹⁹ مع كفره قال: "يا محمد، إني أرقى من هذه الريح" ، فلم ينطق بلفظ الجنون، مع أنه اللفظ الذي سمعه من سفهاء مكة، فلم يُعد على مسمعه ما قالوه حتى لا يؤذيه، كما أن من أدبه أنه قال آخر مقالته للنبي ﷺ: "فهل لك" بأسلوب عرض، لا بأسلوب أمر أو استهزاء!

وأما أمارات رجاحة عقله ﷺ فظهرت حين أنه قام بمقارنة بين كلام النبي ﷺ وبين كلام كفار مكة الذي سمعه منهم في وقت قصير، ومن ثم بتوفيق الله له وعقله الراجح²⁰ تيقن أنه رسول مرسُلٌ من عند الله. فسبحان الله ما أعظم الإسلام لمن وَفَقَهُ الله إليه، كله بركة في الدنيا والآخرة لمن أسلم بل ولقومه وببلده كما حدث مع ضماد ومع قومه من بعد. الرفق يكون سبباً في الخير.

19 - الجم: الشديد.

20 - الراجح: الرزين المتزن.

لقد كان عرضٌ ضِمَادٍ على رسول الله ﷺ أن يعالجه مما به من جنون أو سحر - كما يتهمه الكفار -، في حقيقته عرضاً مثيراً للغضب وموجاً للرد الشديد عليه، لكن حلم²¹ النبي ﷺ ورفقه بالناس جعله يستقبل ذلك بكل صبر²² وحلم، لأنَّه يطمع²³ في إسلامه، فقد كان - صلى الله عليه وسلم - كعادته مع الجميع لا يغضب من الإساءات، ولا تستفزه الجهالات من الجاهلين إلا إذا انتهكت حُرمات الله، لذا نجد أنه قد اتسع حلمه حتى تجاوز الرد عليه بالعدل إلى الفضل والحلم مع من أساء إليه وجهل عليه فتحقق ما له ما أراد، فقد أسلم ضِمَادُ الأزدي وَحَسْنُ إِسْلَامِهِ بِلْ وَصَارَ دَاعِيَةً لِلإِسْلَامِ، فكان هو أول من أدخل الإسلام لبلاد اليمن.

وفي الحقيقة لأنَّ "كلمة أول من أدخل الإسلام اليمن" ليست سهلة، ولا بسيطة، ولا هي ذات أجر قليل، كلا كلا، بل هو بهذا أول مسلم كان سبباً في نشر الإسلام في اليمن، فانظركم له من الأجر الكثيرة التي لا يتخيلها أحد، بل ولا تخطر على قلب إنسان، فهذا الشعب الذي مدحه الرسول كما في الحديث المتفق عليه بقوله: (أَتَأْكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرْقُ أَفْئَدَةَ وَآلَيْنُ قُلُوبًا، الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ) وفي رواية لمسلم: (جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفْئَدَةَ، الْإِيمَانُ يَمَانٌ وَالْفِقْهُ يَمَانٌ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ) كل هذا كان نتاج عمل ضِمَادُ الأزدي كأول رجل أسلم من أهل اليمن، وغيره من المسلمين الذين تحركوا في اليمن.

21 - الحَلْمُ: الأنَّةُ وضيُّطُ التَّفْسِيرُ.

22 - الصَّبْرُ: التَّجَلُّدُ والاحتمالُ.

23 - طَمَعٌ فِي شَيْءٍ: رَغْبَةٌ فِي الْأَسْتِحْوَادِ عَلَيْهِ.

وَقَاتَاتُ الدَّاعِيَةِ وَأَهْلِ الدُّعَوةِ!

أما وِقْفُتُنَا الْأُولَى مع كل داعية إلى الله فهي التنويه²⁴ إلى ضرورة أن يتحلى الداعية بصفات كثيرة، وأهمها في طريق دعوته صفات: الحلم والأناة²⁵ والرفق²⁶ بالمدعوين والصبر عليهم؛ فإن هذا قد يكون سبباً في دخوله في الإسلام إن كان غير مسلم، ولعل العاصي يحتاج لهذه الصفات أكثر، فقد تكون سبباً في حبه للداعي ومن ثم حبه للطاعة وبغضه للمعصية والبعد عنها فالرق ما كان في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه) كما صح ذلك عن النبي ﷺ. ولعلك - أيها الداعية الكريم - بسبب هداية الله لهذا المدعو أو ذاك على يديك يكون لك من الشواب وفي ميزان حسناتك أنت ما لا تخيله، ولا يخطر على قلبك؛ لأنك كنت سبباً في هدايته، وانظر لضماد الأزدي ﷺ كأنموذج حيٍّ كان أول داعية للإسلام في بلاد اليمن فكم له من الأجر؟!

وأما الوقفة الثانية فضرورة الشبت²⁷ مما يتشر من أخبار على ألسنة الناس؛ فإننا نجد أن الكثير من الناس يصدّقون الإشاعات وكل ما يقال لهم عن الآخرين بدون ثبت أو تبيّن من الكلام أو من قائله(!) وهذا ما يستغله أصحاب القلوب المريضة والمغرضون استغلاًلاً سيئاً، وكما رأينا فإن ضماداً أول ما دخل مكة مباشرة تلقوه كفارها وأخذوا يقولون له انتبه إن هنا رجلاً اسمه محمد وهو مجنون فلا تسمع له، لكن الرجل لعقلانيته، وسماحة نفسه، وعلمه، فلم يسارع بالتصديق مما خِيَض²⁸ فيه في عرض "محمد ﷺ"؛ إنما

24 - التنويه: الإشارة والتأكيد.

25 - هو ذُو أَنَّاءٍ وَرَفِيقٌ: ذو وقارٍ وحِلْمٌ، حَلِيمٌ.

26 - الرفق: لين الجانب وحسن الصنيع.

27 - الشبت: التأكيد والاستئثار والتحقق.

28 - خَاضَ فِي الْحَدِيثِ: اِنْدَعَ فِيهِ، اُسْرَعَ، اَفَاضَ. خِيَضُ: مبني للمجهول.

أراد أن يتثبت مما يُقال، فإن كان الرجل مريضاً حقاً فليذهب إليه ليعالجه وهذا من علامات حبه للخير وحرصه على ما ينفع الناس، وإن لم يكن الكلام صحيحاً فلابد أن يعرف لماذا يقولون هذا الكلام؟! وكان لسعي الرجل للتثبت من الأمر أثره العظيم في مقابلته للنبي وإسلامه على يديه، ومن بعد كأن إسلام بلدته على يديه وبسببه، فطوبى له ذلك الأجر العظيم.

وتأتي الوقفة الثالثة للداعية في نظرته إلى ما يُعرف بالدعائية المضادة²⁹ للإسلام في بلاد العالم قاطبة، وفي زماننا الآن؛ حيث يُوجّب علينا جميعاً الجد والاجتهد في التعريف بالإسلام على الحقيقة، فالناس يحتاجون لأن يعرفوه من مصادره الأصيلة الحقة، أكثر من أي وقت مضى بسبب الإشاعات الكاذبة³⁰ عنه والصور المتهورة³¹ التي يعرضها عنه أصحاب الأغراض الدينية، والأنفس المريضة الكاذبة.

وأما الوقفة الرابعة فهي مما يتعلق بذلك أيضاً وعني بها ضرورة أن يهتم الدعاة ببيان قضية الإسلام الأساسية، ولا ينجرّوا وراء الردود والمعارك الجانبية التي تضيّع الأوقات والجهود وتُبذّر الطاقات وتُنهي الأعمار بلا فائدة، ويبتعدوا عن المهارات³² وشخصنة الدعوة، وهذا هو الهدف للأعداء أن يتبع الدعاة والعلماء عن القضية الأساسية. ولعل هذا ما تعلمته من الرد النبوي الشريف، لما قال له ضماد إنّ أرقى من الريح، فهل لك؟ فلم يضيّع الوقت في الردود الجانبية ويقول له: كيف تقول ذلك يا رجل، أنا لست مجحوناً، بل هم المجانين وهم الكفار... إلخ. فلا شك أن مثل هذا الرد ليس

29 - عملٌ مُضادٌ: مُخالفٌ، نقِيسْ، مُعاكسٌ.

30 - الإشاعات الكاذبة: الكلام لا أصل له ولا صحة ولا مصداقية.

31 - المتهورة: الممزقة.

32 - مُهاتَرَةً: القول الذي ينقض بعضه بعضاً. ج: مهارات.

إلا مهارات فكرية جانبية، حاشا أن يقع فيها رسول الله ﷺ، بل دخل مباشرة في بيان قضيته الأساسية بكل هدوء، فقال: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه.." حتى استحوذ على عقل ضماد الأزدي وفكره، ومن ثم أقنعه بفكرته (الإسلام) حتى دخل فيه وكان داعية الإسلام في قومه.

وَنَخْتِمُ وقفاتنا مع الدعاة هنا بما يجب عليهم أن يستغلوه من أي فرص تتاح لهم حتى يُبَيِّنُوا دعوتهم للناس بالحسنى والموعظة الحسنة، ولا يكتفوا بالعارض من الفرص أو فضول الأوقات أو المواقف مع الناس وبينهم، بل يكون همّهم نشر دعوتهم وإيصالها لأكبر عدد ممكن في كل حين متى استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، مقتدين في ذلك بالرسول ﷺ مع سيدنا ضمادٍ إذ لم يكتف النبي ﷺ بإسلام ضماد فقط، بل قال له "وعلى قومك"! إلا ما أحرانا - الآن كدعاة إلى الله - وما أحوج الناس لأن نفعل معهم مثل ما فعل ﷺ مع ضماد، وما فعل (ضماد) مع قومه، بل ووجب علينا جميعاً التفاني في دعوة الناس للإسلام، وتعريف الناس به، وإيصاله لهم صحيحاً كاملاً، وليس ناقصاً مشوّهاً.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطَّلَابُ فِي ثَنَائِيَّاتٍ قَائِمَةً الدُّرُوسِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ الدُّرْسِ

 1. أدب الحديث يبلغ صاحبه ما يريد، فضلاً عن كسب ود الناس وقلوبهم.
 2. العلم والحلم والأناة والصبر ولرفق واللين هي أهم عدة للداعية.
 3. المسارعة في الخير واجبة، لأن الفرص السانحة قد لا تتكرر.

أسئلة للاستيعاب

1. ماذا قال النبي ﷺ في حق أهل اليمن؟
2. اذكر أهم صفات ضماد الأزدي التي عرفت عنه قبل الإسلام.
3. "فقال: لو أتيت هذا الرجل فداويته"
 - أ. من القائل؟ وفي أي مناسبة؟
 - ب. علام تدل هذه العبارة؟
4. لخص لنا قصة إسلام ضماد في ثلاثة دقائق على الأكثر.
5. "لقد بلغ قاموس البحر"، من قائل العبارة، وما المناسبة التي قيلت فيها.
6. ما الصفات التي نتعلمها من النبي ﷺ في حديثه مع ضماد "حين جاء يعرض عليه علاجه" مما سمع أنه مُصاب به؟
7. هناك بعض أمارات التأدب ورجاحة العقل ظهرت على ضماد في لقاء النبي ﷺ اذكر ما فهمته منها.
8. فِيمَ اخْتَلَفَ "ضماد" عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْ قُرِيشٍ؟ وَمَا رأِيُكَ؟
9. ظهر لـ "ضماد" وهو مُشرك أَدْبٌ مع الله، وأَدْبٌ مع "النبي" ووضح ذلك.
10. "لَا بُدَّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتَبَثَّتْ مَا يَسْمَعُ"
 - أ. لماذا برأيك وجب على الإنسان أن يفعل هذا؟
 - ب. هل حدث لك موقف مشابه تيقنت فيه أولاً من صحة الخبر؟ وماذا كانت النتيجة؟
 - ت. مَنْتَاجِعْ عَدَمِ التَّثْبِيتِ وَتَصْدِيقِ كُلِّ خَبْرٍ يُشَاعُ؟
11. الدعوة إلى الله تحتاج إلى "العلم، والعقل، والحذر"

12. اشرح هذه العبارة في ضوء قصة ضماد الأزدي، كما قرأتها.
13. ورد في الموضوع وقفات يجب أن ينفّذن لها الدّعاء إلى الله. اذكر بعضها.
14. ما أبرز الدروس التي تعلّمتها من هذا الموضوع.
15. لو طلب منك عنوان آخر لهذا الموضوع ماذا تقترح؟
16. "تخيل أنك قابلت الآن سيدنا (ضماداً)". فماذا تقول له؟ وبم تدعوه؟

٢-الإِمَامُ الْأَعْظَمُ الْفَقِيهُ وَالْمَرْبِي

نشاته - رضي الله عنه

نعيش مع إمام من أئمة الدنيا وأعلامها في زمانه، بلغ الغاية فقهًا ^{٣٣} وعلمًا ^{٣٤} وورعاً ^{٣٥}، فعلا حتى لا يكاد يدانيه ^{٣٥} في علمه وفقهه أحد، وذهب في ذلك بعيدًا حتى لا يكاد يقترب من مكانته عالم. إنه الإمام الأعظم، فقيه الملة، وعالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن المرزبان بن زوطى التيمى، الكوفى، فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام، والصادقة الأعلام، وأحد الأئمة الأربعه أصحاب المذاهب المتبوعة، ولد سنة ٨٠ هـ، عاش في حياة صغار الصحابة ولم يثبت له رواية عن أحد منهم، ورأى أنس بن مالك، وروى عن جماعة من التابعين. أخذ العلم ^{٣٦} عن الكثير من علماء عصره منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ^{٣٧}، وعمرو بن دينار ^{٣٨}، ونافع مولى ابن عمر ^{٣٩} ..

33 - فُقُهٌ في دينه: صار عالماً بأصول الشريعة وأحكامها.

34 - الورع: ترك المعا�ي والابتعاد عن الشبهات خوف الوقوع في الحرام.

35 - يدانيه: يقترب من منزلته.

36 - المقصود تعلم.

37 - عبد الرحمن بن هرمز الأعرج (المتوفي سنة ١١٧ هـ) تابعي ومقرئ ولغوی. أحد أعلام الحديث.

38 - أبو محمد عمرو بن دينار المكي (٤٦ هـ - ١٢٦ هـ) تابعي وفقه ومحاذث مكّي.

39 - أبو عبد الله نافع المدنى مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب، من أئمة التابعين بالمدينة المنورة، وأحد رواة الحديث النبوي الثقات، روى عن ابن عمر وغيره من الصحابة، كان عالماً بالفقه، كثير الرواية للحديث، ويعد مالك بن أنس أشهر من لازمه وحدث عنه.

والقاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود^{٤٠}، وعبد الله بن دينار وغيرهم الكثير والكثير^{٤١}.

من أمارات علمه وورعه وتواضعه – رضي الله عنه

يعتبر أبو حنيفة أحد أهم علماء الفقه في تاريخ المسلمين وأكبرهم، ومع هذا فقد روى عندهم أصغر منه سنًا، حيث روى عن: شبيان النحوي^{٤٢} – وهو أصغر منه – وكذلك عن الإمام مالك بن أنس الفقيه صاحب المذهب المعروف^{٤٣}، وفي هذا دليل على تواضعه الشديد مع علو منزلته في العلم لكنه لم يستنكف^{٤٤} أن يأخذ عندهم هو دونه في السن والعلم. ومما روى عنه أنه كان شديد الذب^{٤٥} عن محارم الله أن تؤتي، شديد الورع أن ينطق في دين الله بما لا يعلم، يحب أن يطاع الله ولا يعصى، مجانبًا^{٤٦} لأهل الدنيا في زمانهم، لا ينافس في عزها، طويل الصمت، دائم الفكر، على علم واسع، لم يكن مهداراً ولا

40 - القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الكوفي، تابعي ومحدث الكوفة وقاضيها.

41 - عبد الله بن دينار مؤلِّي عبد الله بن عمر بن الخطاب، ويُكتَبَ أبا عبد الرحمن، وتوُفِّي في سنة سبع وعشرين ومائتين. وكان ثقة وكثير الحديث.

42 - أبو معاوية شبيان بن عبد الرحمن التميمي النحوي المؤدب، سكن الكوفة فتره، ثم انتقل إلى بغداد، وجالس علمائها وحدث بها عن الحسن البصري، وفتادة، ويحيى ابن أبي كثير.

43 - أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبهاني الحميري. فقيه ومحدث، وثاني الأئمة الأربع عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي.

44 - استنكفَ من الشيء، وعنه: أَنْفَ وامتنع تكبرا.

45 - الذب: الدفاع.

46 - مجانبًا: مُبتعدًا عن.

ثرثراً، إن سُئِلَ عن مسألة كان عنده فيها علم، نطق وأجاب فيها بما سمع، وإن كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه، صائناً نفسه ودينه، بذوقاً للعلم والمال، مستغنياً بنفسه عن جميع الناس، لا يميل إلى طمع، بعيداً عن الغيبة، لا يذكر أحداً إلا بخير.

(فائدة)

ولننظر إلى حالنا وواقعنا اليوم ونحن نرى أن الكثير من طلاب العلم المبتدئين يستنكفون أن يقال لأحدهم أخطأت وهو مخطئ، أو لا يريد أن يتعلم من هو أصغر منه في السن أو العلم إن كان صاحب علم قد برع فيه أكثر، وهو نوع من التكبر^{٤٦}، وال الكبر آفة عظيمة من آفات طالب العلم، نرياً^{٤٧} بنا وبطلابنا الوقوع فيها. بل وجب علينا جميعاً التواضع في التماسه، وأخذه من أهله وإن كانوا صغاراً، أو أقل علمًا طالما أن عندهم ما ليس عندنا من العلوم فالعلم بحر لا ساحل له والله تعالى يقول (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [سورة يوسف]. وقال تعالى في سورة الإسراء (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) ^{٤٨}. وفي ذلك قال وكيع بن الجراح "لا ينبل الرجل حتى يأخذ عمن هو فوقه وعمن هو مثله وعن هو دونه"!

من تلامذة الإمام

أما عنمن أخذوا عنه العلم فهم كثيرون، فقد روى عنه أهم علماء مذهبهم: محمد بن الحسن الشيباني^{٤٨} شيخ الشافعي، وقاضي القضاة أبو يوسف^{٤٩}، وزفر بن هذيل^{٥٠}، وغيرهم.

منهجية راشدة مميزة نفتقر إليها!

نشأ أبو حنيفة بين حلقات العلم بما فيها من مناظرات ومجادلات^{٥١} واختلاف للآراء، فتعايش في هذا الجو المملوء بالفلسفة والمنطق وعلم الكلام الموجود في وقته، وقد تأثر بهذا الجو تأثيراً إيجابياً واستفاد، فاختار لنفسه في مجلسه الفقهـي أسلوبـاً فريـداً تمـيزـ به عن سائر علمـاءـ أهـلـ زـمانـهـ فـكانـ في مجلسـهـ يـستـنهـضـ^{٥٢} هـمـ طـلـابـهـ وـيـسـتـفـزـ عـقـولـهـمـ؛ـ لـيـسـتـخـرـ جـ ماـعـنـدـهـمـ

48 - محمد بن الحسن الشيباني عالم مسلم، فقيه ومحدث ولغوـيـ، صاحب الإمام أبي حنيـفةـ النـعـمـانـ،ـ وـناـشـرـ مـذـهـبـهـ،ـ يـلـقـبـ «ـصـاحـبـ أـبـيـ حـنـيـفةـ،ـ وـفـقـيـهـ العـرـاقـ».ـ وـلـدـ بـوـاسـطـ سـنـةـ 131ـهـ،ـ وـنـشـأـ بـالـكـوـفـةـ،ـ وـأـخـذـ عـنـ أـبـيـ حـنـيـفةـ بـعـضـ الـفـقـهـ،ـ وـتـمـ الـفـقـهـ عـلـىـ القـاضـيـ أـبـيـ يـوسـفـ،ـ وـأـخـذـ عـنـ سـفـيـانـ الثـورـيـ وـالـأـوزـاعـيـ،ـ وـرـحـلـ إـلـىـ مـالـكـ بـنـ أـنـسـ فـيـ الـمـدـيـنـةـ.

49 - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنباري المشهور بأبي يوسف وهو من تلاميـذـ الإمامـ أـبـيـ حـنـيـفةـ النـعـمـانـ.ـ (ـالـقـاضـيـ أـبـوـ يـوسـفـ هوـ الإـلـامـ الـمـجـتـهـدـ الـعـلـامـ الـمـحـدـثـ قـاضـيـ الـقـضـاـةـ،ـ أـبـوـ يـوسـفـ يـعـقـوبـ بـنـ إـبـرـاهـيمـ بـنـ حـبـيـبـ بـنـ حـيـشـ بـنـ سـعـدـ بـنـ بـجـيرـ بـنـ مـعـاوـيـةـ الـأـنـصـارـيـ الـكـوـفـيـ).ـ

50 - زُفر بن الهذيل العنبرـيـ التـمـيـيـيـ (ـ110ـهـ - 158ـهـ)ـ أحدـ فـقـهـاءـ المـذـهـبـ الـحنـفيـ الـكـبـارـ.

51 - جـدـالـ وـحـوارـ وـنـقـاشـ عـلـمـيـ،ـ وـتـبـادـلـ فـيـ وجـهـاتـ النـظـرـ الـمـخـلـفـةـ يـقـومـ فـيـ فـرـيقـانـ خـصـمـانـ بـالـدـفـاعـ عـنـ قـضـيـةـ مـاـ أوـ مـهـاجـمـتهاـ.

52 - اـسـتـنـهـضـ هـمـةـ:ـ حـمـسـةـ،ـ بـعـثـ فـيـ الـحـمـاسـ،ـ حـثـةـ عـلـىـ الـإـقـدامـ.

علم فيسأل السؤال ويطلب منهم الإجابة عليه، ويطلب منهم البحث والتنقيب عن الإجابة الصحيحة ويشاركهم في ذلك. وهو بذلك لم يكن ي يريد من طلابه أن يتلقوا عنه فقط؛ ليقولوا أحسنت! وبارك الله فيك! فقط !!

بل كان يريدهم ليكون علماء كباراً يفهمون ما يقولون ويعرفون الصحيح من السقيم، يريدهم - رحمة الله - ليكونوا أستاذة وهم طلاب عنده، فيستنطق⁵³ عقولهم وقلوبهم قبل أستتهم؛ حتى يتكلموا عن الله ورسوله بفهمٍ صحيح، وهكذا كان يفعل النبي كثيراً والصحابة يتكلمون ويعجبون بما عندهم ثم يصحح النبي لهم. وبهذا تخرج على يديه علماء لم يستطع أحد من معاصرיהם أن يغلبهم في مناظرات فضلاً عن غيرهم من الفلاسفة والملاحدة ومن سار على نهجهم في الزيف والضلal.

ولا شك أن هذا الأسلوب تعلمه الإمام الأعظم من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه - رضوان الله عليهم فكان يقول لهم (أتدرؤن من المفلس؟ وفي حديث آخر يقول لهم أتدرؤن ما الغيبة؟ وفي حديثه لمعاذ بن جبل، يا معاذ!! ثم يسير برهة ثم ينادي يا معاذ!!).

ومن أمثلة هذا أن رجلاً كان يتكلم في سيدنا عثمان بكلام لا يليق بمقامه - رضي الله عنه - فذهب إليه أبو حنيفة، وقال له:

- إن رجلا جاء إليك يريد خطبة ابنته وهو رجل معروف بين الناس بالغنى والشرف، سخي اليد، كريم الطاعب حافظ لكتاب الله يقوم الليل كثير البكاء من خشية الله.

53 - اِسْتُنْطَقَه: طَرَحَ عَلَيْهِ أَسْئَالَةً لِيُنْطَقَ بِالفِكْرَةِ أَوِ الْقَوْلِ.

- فقال له الرجل بخ بخ !! حسبك يا إمام! فإن بعض ما قلت من صفاتٍ كفيفٌ أن يكون كفأً لبنت أمير المؤمنين.
- ثم قال أبو حنيفة للرجل لكنه فيه خصلة لابد أن تعرفها عنه!
- قال له الرجل: وما هي؟ قال: هو يهودي !!
- قال الرجل مستغرباً: يا إمام جئت لطلب بنتي لرجل يهودي وتقول فيه هذه الصفات؟ وهل هذا يحل؟ وهل هذا صحيح يا إمام؟ كيف لرجلٍ يجمع بين هذه المتناقضات؟
- قال له الإمام أبو حنيفة - صاحب الحُجَّة القوية: فكيف وقد زوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنته لعثمان بن عفان وأنت تدعى أن عثمان يهودي؟ !!

فقطعه بهذه الحُجَّة الدامغة^{٥٥}، ورجع الرجل عما كان يقوله في سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه. وهكذا كان منهج أبي حنيفة يُحاجِّ بعقله من لا تجدي معه الأدلة النقلية من أصحاب القلوب المريضة وأهل البدع والأهواء. وهذا ما نحتاج إليه - الآن - مع الأدلة النقلية، ألا نحمل العقل فيما يحق للعقل إعماله فيه فيما يخدم الإسلام ويبيّن مسائله التي يتعرض لها غير المؤمنين من المنكريين خاصة.

54 - اسم فعل لل مدح والإعجاب والرضا بشيء، ويذكر للمبالغة، وفي حالة الوصل تُكسر الخاء وتُنون فتفقول: بخ بخ (بخ بخ) بأعمالك الحسنة.

55 - حجة دامغة: دليل وبينة لا يمكن معارضتها.

كلمة طيبة أخرجت أفقه أهل زمانه!

من العجيب أن الإمام أبي حنيفة لم يجد حال شبابه وترعرعه من يُرشده إلى مجالس العلماء والأخذ عنهم، فقد كان في بداية حياته مشتغلًا بالتجارة في ثياب الخز وتوسّع في ذلك، حتى كان له دارٌ كبيرة لعمل الخز (مصنوع)، وعنده صناع وأجزاء وأعمال كثيرة وكان - رحمة الله - وكان موسراً واسع الشراء، ومكث على هذه الحال إلى أن قيَضَ الله له الإمام الشعبي؛ فحثَه على الاستغلال بالعلم، كما حكى ذلك عن نفسه حيث قال:

- "مررت يوماً على الشعبي وهو جالس فدعاني!"
- وقال: إلى من تختلف؟
- فقلت: أختلف إلى السوق.
- فقال: لم أعنِ الاختلاف إلى السوق، عنيت الاختلاف إلى العلماء لستفيد من علمهم.
- فقلت له: أنا قليل الاختلاف إليهم فقال لي: لا تفعل وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء؛ فإني أرى فيك يقظة وحركة وذكاء. قال: فوق في قلبي من قوله فترك الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم فتفعنى الله بقوله".

أبو حنيفة المُرَبِّي الناجح!

كان للإمام الأعظم تلاميذ كثُر وقد كتب الله لمذهبة القبول والانتشار - بعد فضل الله عليه - بسبب كثرة تلاميذه فكان أوسع المذاهب انتشاراً على وجه الأرض، ولئن دلّ هذا فإنما يدلّ على كثرة علماء مذهبة، والقيام بنشر المذهب الحنفي خير قيام، ومن هؤلاء الذين نشروا مذهبة ومن أهم منظريه

القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري (123 هـ - 192 هـ) أحد تلامذة أبي حنيفة الكبار، وكان يتميز بتبصره في علوم كثيرة كعلم الحديث والمعازي والتفسير وغيرها من العلوم بجانب علم الفقه، فهو من شيوخ الإمام أحمد بن حنبل⁵⁶ ويحيى بن معين⁵⁷، وأسد بن الفرات، وغيرهم في الحديث، وغيره، قال أبو حنيفة لما عاد أبو يوسف في مرضه، لما خرج من عنده قال: "إن يمُت هذا الفتى فهو أعلم من عليها" وأشار إلى الأرض، أي أعلم من على الأرض".

(فائدة)

وال موقف الذي نريد أن نستفيد منه في حياتنا العملية الواقعية معلمين وطلاباً، أن نعرف أن التلميذ (أبا يوسف) هذا إنما هو حسنة من حسنات أبي حنيفة، وله قصة مهمة يحسّن بنا ذكرها هنا حدثت بين الأستاذ والتلميذ: كان التلميذ أبو يوسف من أسرة فقيرة جدًا، وذات مرة مرَّ والده على مجلس أبي حنيفة فوجد ابنه في مجلسه، فقال لابنه: يا بُنْيَ لا تجلس في مجلس أبي حنيفة فإننا فقراء نحتاج أن تشغل وقتك لتتأقى بالمال حتى نعيش، ولما كان أبو يوسف بارًا جدًا بأبيه فترك مجلس أبي حنيفة وأثر طاعة أبيه!! فلما افتقده أبو حنيفة (وهذه مهمة الأستاذ المُرَبِّي أن يسأل عن طلابه حينما يفتقدهم، وهذا

56 أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (164-241 هـ) فقيه ومحدث مسلم، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي.

57 يحيى بن معين ولد سنة (ولد سنة 158 هـ. وتوفي سنة 233 هـ)، كان عالماً إسلامياً كبيراً في مجال الحديث من أصل فارسي. وكان صديقاً مقرراً للإمام أحمد بن حنبل. من المعروف أن ابن معين أنفق كل ميراثه في البحث عن الحديث النبوى إلى الحد الذي أصبح فيه في أمس الحاجة إليه.

كان ديدن النبي - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه) فسأل عنه؛ لأنَّه كان يراه طفلاً نجيماً، يتوسُّم فيه أن يكون عالماً كبيراً، فذهب إليه يُكلِّمه، فحكى له القصة، وقال له:

- إنَّ أَبِي يُرِيدُنِي أَنْ أَشْتَغلُ لِقْلَةَ الْمَالِ.

دفع إلىَّ أبو يوسف مائة درهم !!

- وقال له: "الزم الحلقة"، وكأنك تعمل بمقابل لهذا المبلغ في حضور الحلقة، و"إنْ تَفَدَّتْ هَذِهِ أَعْلَمِنِي"، فرضي أبوه لشدة فقره، ورضي أبو يوسف، ورضي أبو حنيفة !!

بمثل تربية الإمام الأعظم لطلابه وتفقده⁵⁹ لغيابهم تخرج على يديه قاضي قضاة الدنيا وناشر المذهب الحنفي وأكبر مُنظَّريه، بل وأعظم علمائه، وهذا درس لكل مُعلِّم يريد الله والدار الآخرة، وإن كان الأصل هو (ذلك فضل الله يؤتُيه من يشاء)، لكن نحن مطالبون بالأخذ بالأسباب وأن تفقد طلابنا، وأن نسأل عنهم إذا غابوا ونساعد المحتاج منهم بقدر استطاعتنا؛ فلعل الله يُخرج منهم من يكون سبباً في نشر علمنا، ومن ثم يكون دخولنا الجنة !!

وفي الحقيقة إننا مطالبون بالإبلاغ عن النبي - صلى الله عليه وسلم، فلا ننتظر أجرًا من أحد - إلا من الله تعالى - أو أن يتخرج على أيدينا الكثير أو القليل، بل العمل والبذل لله ورسوله متمثلين قول النبي «بَلَّغُو عَنِّي وَلَوْ آتَيْهِ»، فكم من فُرُصٍ تأتينا لِنُعَلِّمُ الناس وندعوهم إلى الله ونحن نُقصِّر ونتكاسل ونسوّف !! ونسى أو نتغافل عن قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث

58 - نَفَدَ الشَّيْءُ: فني وذهَبَ بأكمله، لم يبق منه شيء: فناء. والمقصود: إذا انفتها كلها في الشهر، ولا زلت في حاجة للمال أخبارني.

59 - تفقده: سأله عن سبب غيابه وتابعه.

الصحيح «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ»، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعُلْ»، لذا وجب علينا استغلال أوقاتنا، وأعمارنا في أعظم الأمور وأهمها وهي تبليغ دين الله ونشر العلم.

أبو حنيفة وتولي القضاء

من الناس مَن يَتَمَنِي أَن يَلِي مَنْصِبًا مَا، أَيْ مَنْصِبًا! لِلشَّهْرَةِ وَنَفْعِ نَفْسِهِ وَكَنْزِ الْمَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ وَخَدْمَةَ النَّاسِ فِيمَا لَا يَخَالِفُ شَرْعَ اللَّهِ، وَالْحَصِيفَ^{٦١} حَقًا مَنْ إِنْ رَأَى فِي نَفْسِهِ ضَعْفًا نَأَى بِنَفْسِهِ عَنِّي أَيْ مَنْصِبٍ قَدْ يَجْرِي إِلَيْهِ مَا لَا يَنْفَعُ الْخَلْقَ أَوْ يُغَضِّبُ الْخَالِقَ، فَالْدُّنْيَا عُمْرُهَا قَصِيرٌ، وَكَثِيرُهَا قَلِيلٌ، وَحَسَابُهَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَسِيرٌ لِمَنْ وَقَعَ فِيهَا يُغَضِّبُ رَبَّهُ، وَخَاصَّةً الْعُلَمَاءِ وَطَلَابِ الْعِلْمِ؛ لَئَلَّا يَكُونُوا فَتَنَّةً لِغَيْرِهِمْ إِذَا رَأَوْا مِنْهُمْ بَعْضَ الْمُخَالَفَاتِ الشُّرُعِيَّةِ بِسَبِّبِ هَذِهِ الْمُنَاصِبِ.

وَهَا هُوَ الْإِمَامُ الْأَعْظَمُ - رَحْمَهُ اللَّهُ - مَعَ عِلْمِهِ وَوَرْعِهِ وَتَقوَاهِ إِلَّا أَنَّهُ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ مَنْ تَوَلَّي مَنْصِبَ الْقَضَاءِ مِنْ قِبَلِ الْوَزِيرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ^{٦٢}، وَكَذَلِكَ الْخَلِيفَةُ الْعَبَاسِيُّ أَبُو جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ^{٦٣} قَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ ابْنَ هُبَيْرَةَ وَالِّيَّ الْعَرَاقَ -

60 - الفَسِيلَةُ: نَبَتَةُ النَّخْلِ الصَّغِيرَةِ.

61 - رَجُلُ حَصِيفٍ: جَيِّدُ الرَّأْيِ، حَكِيمٌ، مُتَعَقِّلٌ.

62 - الْوَزِيرُ ابْنُ هُبَيْرَةَ. أَحَدُ الْوُزَّارَاءِ الْمَشْهُورِيْنِ. هُوَ أَبُو الْمَظْفَرِ يَحِيَّيِّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هُبَيْرَةِ الشَّيْبَانِيِّ نَسْبًا ثُمَّ الدُّوْرِيُّ الْبَعْدَادِيُّ الْحَنْبَلِيُّ. وُلِّدَ سَنَةَ 499هـ. وَتَوَفَّى سَنَةَ 560هـ.

63 - أَبُو جَعْفَرِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلَيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ الْقُرْشَيِّ هُوَ الْخَلِيفَةُ الْعَشْرُونُ مِنْ خَلْفَاءِ الرَّسُولِ، وَالْخَلِيفَةُ الْعَبَاسِيُّ الثَّانِي، وُلِّدَ سَنَةَ 95هـ. وَهُوَ الْمَؤْسِسُ الْحَقِيقِيُّ لِلدوْلَةِ الْعَبَاسِيَّةِ، وَبَانَ بِغَدَادٍ، وَقَدْ بَوَّعَ لَهُ بِالْخَلَافَةِ فِي ذِي الْحِجَةِ سَنَةَ 136هـ بَعْدَ وَفَاتَةِ أَخِيهِ أَبِيهِ الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ السَّفَاحِ، وَكَانَ السَّفَاحُ أَصْغَرُهُ وَتَوَفَّى سَنَةَ 158هـ.

آنذاك - قضاء الكوفة فأبى وامتنع، فحلف ابن هُبَيْرَةَ إن هو لم يفعل ليضربنه بالسياط على رأسه، فقيل لأبي حنيفة:

- فقال أبو حنيفة: ضربه لي في الدنيا أسهل علىي من مقامع الحديد في الآخرة، والله لا أفعلن ولو قتلني !!

- فحُكِيَ قولَه لابن هُبَيْرَةَ:

- فقال ابن هُبَيْرَةَ: بلغ قَدْرُهُ^٤ أن يعارض يميني بيمينه، فدعاه فحلف إن لم يلْ القضاء ليضربن على رأسه حتى يموت، فقال له أبو حنيفة: هي موتة واحدة، فأمر به فضرب عشرين سوطاً على رأسه !!

- فقال أبو حنيفة: اذْكُرْ مقامك بين يدي الله، فإنه أذل من مقامي هذا بين يديك، ولا تهددني فإني أقول: لا إله إلا الله، والله سائلك عنِّي حيث لا يقبل منك جواباً إلا بالحق !!

فأوْمأَ إلى الجlad أن أمسك به، وبات أبو حنيفة في السجن، فأصبح وقد انتفخ وجهه ورأسه من الضرب لكنه تحمل من أجل الله !!

كما عرض عليه الخليفة العباسي المنصور القضاء، فأبى، فسجنه، ومات محبوساً في السجن - رحمه الله تعالى.

من جميل ما قيل في حقه - رضي الله عنه

كان – رحمة الله – كريماً، جواداً، سخياً بماله، ينفق على العلماء مثلما كان ينفق على عياله. وقد عني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك وهو إمام فقيه، قال الذهبي: وأما الفقه والتدقير في الرأي وغواصته^{٦٥} فإليه المتهى والناس عليه عيال في ذلك، توفي سنة 150 هـ. وقال عنه الثوري وابن المبارك: "كان أبو حنيفة أفقه أهل الأرض في زمانه"، وقال علي بن عاصم: لو وزن علم الإمام أبي حنيفة بعلم أهل زمانه، لرجح عليهم. وقال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه، أدق من الشعر، لا يعييه إلا جاهل. وقال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس. وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال^{٦٦} على أبي حنيفة. وقال الذهبي: الإمامة في الفقه و دقائقه مسلمة إلى هذا الإمام، وهذا أمر لا شك فيه. وقال الفضيل بن عياض: "كان أبو حنيفة معروفا بكثرة الأفعال، وقلة الكلام وإكرام العلم وأهله".

وفاته - رضي الله عنه -

- توفي شهيداً في سجنه على الراجح، سنة 150 هـ، وعمره سبعون سنة.

٦٥ - غواصته: المَسْتُورِيَاتُ غَيْرُ الْمَنْكُشَفَةُ.

٦٦ - هو عيال على غيره: كُلُّ عَلَيْهِ لَا يَسْتَقْلُ بِأَمْرِهِ. والمقصود: أنه رائدهم وأستاذهم جميعاً.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطَّلَابُ فِي ثُنَائِيَّاتٍ قَائِمَةً الدُّرُوسِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ الدَّرْسِ

١. طلب العلم لا وقت محدد له، وإن كان في الصغر فهو أولى.
 ٢. لا كبير في العلم، وربما أفاد الإنسان خيراً من دونه مرتبة ودرجة.
 ٣. أسلوب الحوار والمناقشة أحد الأساليب المهمة جداً في تعليم الفقه للنسائية.

أسئلة للاستيعاب

1. من دراستك لهذا الموضوع استخرج الصفات التي اتصف بها الإمام أبي حنيفة، ثم حدد هل هذه الصفات موجودة في علماء (أساتذة) اليوم؟ ولماذا؟
2. أبدِ رأيك في القضايا التالية، مع الاستشهاد من واقع حياتك - إن وُجد:
 - أ- فائدة التعليم عبر الحلقة.
 - ب- أثر الفقر على التعليم.
 - ت- إجبار العالم على المنصب.
 - ث- دور التلميذ في نشر العلم.
 - ج- دور المعلم مع تلاميذه.
 - ح- رفض الأب تعليم ابنه بسبب الفقر !
 - خ- خضوع الابن للأب وترك التعليم.
 - د- المعلم الذي يساعد تلاميذه بالمال.
 - ذ- المعلم الذي يكتفي دوماً بإلقاء الدروس على طلابه.
 - ر- المعلم الذي يستنطق طلابه ويحاورهم دوماً، ويشركهم في أنشطة العملية التعليمية، والتحطيب لها.
 - ز- تسخير العلم للسلطان.
 - س- وقوف العالم في وجه الظلم.
 - ش- أسلوب الإمام أبي حنيفة مع من كان يسيء إلى سيدنا عثمان رضي الله عنه.

3. قف خطيباً أمام جمع من زملائك مشيداً بسلوك أبي حنيفة في المواقف التالية:
- أ. موقفه مع تلميذه "يوسف" حين أراد أبوه ألا يلزم الحلقة أبي حنيفة.
 - ب. رفض أبي حنيفة تولي القضاء.
4. وجّه كلمة في دقّيقه ونصف لوزير ابن هبيرة فيما فعله مع الإمام أبي حنيفة.
5. قف خطيباً محذراً الحكام وذوي السلطة من استعمال سلطتهم فيما لا يرضي الله.
6. قف خطيباً محذراً العلماء من تسخير علمهم لخدمة الظلم والظالمين.
7. استخرج الدروس وال عبر التي خرجت بها في هذا النص، واكتبوها في قائمة مرتبة.
8. بصيغة المضارع تكلم عن أهم ما أعجبك في سيرة الإمام أبي حنيفة النعمان.
9. "قيل عن أبي حنيفة الكثير والكثير"، ما المقوله التي أعجبتك؟ ولماذا؟
10. تخيل أنك قابلت الإمام أبي حنيفة النعمان - رضي الله عنه .
- وجّه له كلمة شكر، ودعاء لما قام به من خدمة الإسلام والمسلمين.
11. برأيك، لماذا يرفض بعض العلماء مناصب رفيعة؟ ولماذا يسعى إليها آخرون؟
12. تخيل حواراً دار بين الوزير ابن هبيرة والإمام الأعظم حول مسألة رفض الإمام تولي منصب القضاء - على ألا يقل عن 3 أسئلة وإجاباتها.

13. لخص لنا الدرس المستخرج من الفائدة الأولى التي وردت في النص.
14. لخص لنا الدرس المستخرج من الفائدة الثانية التي وردت في النص.
15. من هو أقرب معلم درّسك لشخصية الإمام أبي حنيفة وصفاته.
اشرح بالتفصيل، واذكر بعض المواقف الدالة على صحة كلامك.
16. كيف يكون التلميذ إحدى حسنات المعلم. ووضح بالأمثلة من واقع رحلتك التعليمية - إن وجدت.

3- الإمام البخاري وحفظ السنة

التعريف به

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة المعروف بالبخاري. وُسُمِّي بالبخاري نسبة إلى بلدته (بخارى إحدى مدن أوذباكستان الآن) التي ولد فيها سنة 194هـ، وبخارى كانت إحدى أهم مدن العلم والعلماء. والإمام البخاري نموذج حي لتأييد الله لدينه بعباده المخلصين، حتى مع أحلك الظروف وأصعبها، فلقد كانت الظروف الصعبة التي نشأ فيها البخاري لا يمكن معها أن يصل إلى عُشر^{٦٧} معاشر ما وصل إليه رحمة الله - فمع أن البخاري لم يتكلم في بدايته العربية ولم يكن يعرفها كأهل بلدته جميعاً، لكنه تعلّمها وبرع فيها، حتى صار بعد القرآن صاحب أشهر وأوثق 68 وأصح كتاب، كما أجمع علماء أهل السنة والجماعة على ذلك، والذي أمضى في جمعه وتصنيفه 16 عاماً. والذي كان من تلاميذه الكثير من كبار علماء الحديث كمسلم^{٦٩} والترمذى^{٧٠} وغيرهم.

67 - المِعْشَارُ = عُشر، جزءٌ من عشرة أجزاء الشَّيءِ.

68 - أوثق: أحكم وأدق.

69 - أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وزد بن كوشاذ القشيري النيسابوري، ولد سنة (206هـ). وهو من أهم علماء الحديث عند أهل السنة والجماعة، وهو صاحب كتاب صحيح مسلم الذي يعتبر ثاني أصح كتب الحديث بعد صحيح البخاري، وهو أحد كبار الحفاظ، ولد في نيسابور، طلب الحديث صغيراً، وكان أول سماع له سنة 218هـ، وعمره آنذاك اثنتا عشرة سنة. وتوفي سنة 261هـ.

70 - أبو عيسى الترمذى هو محمد بن عيسى بن سورة، السلمى. المتوفى سنة 279هـ.

أصل التشريع في الإسلام

التشريع في الإسلام له أصلان أساسيان: هما القرآن الكريم والسنّة النبوية. فأما القرآن الكريم فقد تعهد الله بحفظه^{٦١} قال تعالى في سورة الحجر {إِنَّا هَنَّ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ رُحْمَةً مِّنْ أَنْفُسِكُمْ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ الْحُكْمُ مُبِينٌ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا أَوْ شَرًّا يُبَصِّرُهُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ} ومن حفظ الله للقرآن الكريم حفظه سبحانه للسنّة، المطهرة، لأنها مفسرة له، ومبيّنة لمجمله، مخصصة لما جاء عاماً فيه، ومقيدة لمطلقه، كما أن فيها بعض الأحكام التي لم تأت في القرآن. وقد وفق الله للسنّة النبوية رجالاً عظاماً كان الحديث النبوي هو شغلهم الشاغل فقاموا بهذه المهمة الشاقة خير قيام، فرحلوا في البلاد طولاً وعرضاً يبحثون ويجمعون ويتحققون ويدققون، يصحّحون ويُضعّرون، وينظرون إلى الرجال وأمانتهم في نقل السنّة النبوية؛ ليأخذوا عنهم الحديث ويبلغونه للناس، ومن وجدوا فيه من قلة أمانة أو حتى ضعفاً يسيّر في الحفظ تركوه، إلى غير ذلك من هذه المهمة الصعبة التي لا يستطيعها إلا الأفذاذ من الرجال الذين تخصصوا في هذا العلم العظيم، علم الحديث النبوي الشريف، فحققوا روایاته ورواتُه، وأصّلوا للأسانيد والمتون التي جاءت بها السنّة المطهرة، مما جعل كلَّ من جاء بعدهم مطمئناً لما يأخذ عن هؤلاء من الشرع، وكان من أعظم هؤلاء الرجال وأفضلهم هو الإمام البخاري.

٦١ - المقصود: آللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ سُبْحَانَهُ وَتَكْفُلُ بِحَفْظِهِ.

الأرض الطيبة تخرج غراساً طيباً!

ومازال التاريخ يسطر بحروف من نور ما لبعض الأمهات من دورٍ عظيم، فمنهن من صنعن التاريخ برجالٍ عظام، ومن هؤلاء الأمهات الفضليات، الأم الصالحة العابدة التقية أم الإمام المحدث أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري، فقد مات أبوه وهو صغير، فنشأ يتيمًا، وقد فقد بصره في طفولته. ولما ذهب بَصَرُ البخاري وهو صغير، ألهمها ربها الرحيم الكريم الذي لا تُغلق أبوابه، ولا تنتفع عطاءه، ألهمها باللجوء إليه وكثرة التوسل والدعاء له سبحانه وتعالى، وفعلاً استجاب الله لها سبحانه وظللت تدعوه ربه ليلاً ونهاراً، وقد دامت على هذا الأمر مدةً حتى نامت ليلة بعد صلاتها فرأت في منامها سيدنا إبراهيم عليه السلام يقول لها: (يا هذه، قد رد الله على ابنك بصره بكترة دعائك) فاستيقظت من نومها وقلبها يُخْفَق⁷² من هذه الرؤيا وبشارتها ووضوئها، وجلست تنتظر الصباح بفارغ الصبر⁷³، وأذن لصلاة الفجر، وأيقظت أم "محمد" ولديها للصلوة، ورأت صدق هذه الرؤيا. فقد أبصرَ "محمد" وقام وحده ليتوضاً، فما كان منها إلا أن بكَت من شدة فرحتها بما رأت وسجدت الله شاكراً ربه.

حرص الأم على تعليم ابنها وبلغه أعلى الدرجات!

ولد الإمام البخاري يتيناً لكن أمه رحمها الله كانت نعم الأمّ ونعم المربيّة لأولادها، ونعم الزوجة الوفية لزوجها، فها هي قد احتضنت ولديها، وقامت عليهما أحسن قيام، واهتمت هذه المرأة العظيمة بتربية ولديها التربية

72 - خفق القلب: اضطراب وتحرّك زادت ضرباته لانفعال أو خوف أو جهد.

73 - البشارة والبشارة: خبر سارٌ ومفرح لا يعلمه المُخبر به

74 - المقصود: عدم القدرة على التحمل.

الصحيحة المطلوبة شرعاً وعقلاً، واعتنى بها عناية عظيمة وحرصت - رحمة الله - على أن ينهل⁷⁵ ابنها من العلم الشرعي ويتعرّع⁷⁶ فيه ويتربي⁷⁷ عليه، فأسلمته إلى معلم الكتاب، وظل يتعلم في كتاب بلدته إلى أن بلغ عمره عشر سنوات. ودفعت الأم ابنها لارتياد مجالس العلم في بلده بخاري، ولم يتوقف دور هذه الأم هنا، بل استكملت مسيرتها العظيمة، فعندما بلغ عمر ابنها ست عشرة سنة، خرجت به للحج مع أخيه الأكبر أحمد، فلما رأت فيه حبّ العلم والحديث خاصةً تركته طلب العلم ورجعت هي مع ولدها "أحمد" إلى بلادهما؛ وذلك لأنها كانت طموحة⁷⁸ في أن تجعل ابنها من العلماء المبرزين⁷⁹، فرسخت⁷⁹ عنده فكرة الرحلة في طلب العلم والتطواف على العلماء في بلاد الإسلام فعاش في مكة والمدينة ست سنوات، ثم بدأ رحلته إلى غيرهما. وظل الإمام البخاري في مكة لطلب العلم ورحل إلى العلماء في كثير من الأقطار. يقول البخاري: "دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة (بين دجلة والفرات) مرتين"، وإلى البصرة أربع مرات، وكل مرة يمكث فيها شهوراً وسنین يتعلم العلم. قال: ولا أحصيكم دخلت إلى الكوفة وبغداد"!! وكل هذا في ميزان حسنات أمه وأبيه، بإذن الله تعالى.

75 - المَنْهَلُ: اسم مكان من نهلٍ: مورد؛ مكان الشُّرُب، المورِّدُ. والمقصود: يأخذ العلم بقوّة ونَهَمَ.

76 - تَرَعْرَعَ الطَّفْلُ في حِضْنِ وَالدَّيْهِ: نَشَأَ وَشَبَّ. وترعرع في العلم: نشا فيه.

77 - امرأة طموح: لديها رغبة شديدة لتحقيق شيء ما.

78 - رَجُلٌ مُبِرَّزٌ فِي عَمَلِهِ: لَهُ أَهْلِيَّةً وَكَفَاءَةً وَمَكَانَةً.

79 - رَسَّخَتْ: ثبتت وزرعت.

فائدة للأمهات

ولعل هذا يوضح لنا الأهمية الكبيرة والدور العظيم المنوط بالأسرة وخاصة الأم التي هي مسؤولة مسؤولية مباشرة في الدنيا والآخرة عن أبنائها، وهذا هو النتاج الطبيعي للأم (الأسرة) الصالحة التي عَرَفت دورها ومسؤوليتها. فانظروا يا من سُتُّسألون عن أبنائكم وَمَنْ تَعْوَلُون^{٨٠} !! وإلى مثل هذا الدور الذي قامت به الأم من تعلق بالله تعالى وغرس الحرص على اكتساب العلم في أولادها، والتماسه بكل الطرق رغم الظروف الصعبة والفقير، وهو ما نظمح إليه وما نرجوه في زماننا الذي كادت تضيع فيه لُحمة^{٨١} الأسرة وتسقط أركانها، وتتهاوى^{٨٢} فيه الكثير من القيم والأخلاق في البيئات والمجتمعات وحتى في المؤسسات التعليمية – إلا ما رحم ربى وعصم – وهم قليل.

شيوخ البخاري وأساتذته

كان للبخاري رحمه الله شيخ^٩ كثيرون وصلوا لأكثر من ألف وثمانين، وذلك لكثره رحلاته التي قام بها في البلاد المختلفة، وفي هذا قال عن نفسه: "كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث".

٨٠ - تعولون: ترعون وتقومون على شؤونهم.

٨١ - لُحْمَةُ الأُسْرَةِ: أي أساسها وأصلها ومكوناتها.

٨٢ - تتهاوى: تسقط.

على رأسهم إمام السنة أحمد بن حنبل^{٨٣}، وعلامة العلل^{٨٤} في زمانه علي بن المديني^{٨٥}، ومنهم إسحاق بن راهويه^{٨٦}، ومنهم أعظم علماء الجرح والتعديل يحيى بن معين^{٨٨} وأبو حاتم الرازي^{٨٩}، لذا فهو من أعظم العلماء لأنه تتلمذ على أهم شيوخ الدنيا في زمانه وكانوا يجلّونه ويقدرونها رحمة الله.

أهم مصنفات الإمام البخاري وسبب تأليفه

بدأ الإمام البخاري التأليف وهو في عمر الثامنة عشرة، وصنف أكثر من عشرين مؤلفاً من أهمها: التاريخ الكبير، الأدب المفرد، خلق أفعال العباد، ورفع اليدين في الصلاة، والكتاب، وغيرها من الكتب، وأهم مؤلفاته على

83 - أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي فقيه ومحدث مسلم، ورابع الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب الحنبلي في الفقه الإسلامي. (164-241هـ).

84 - علم العلل أو علم علل الحديث هو علم يهتم بدراسة الأسباب الخفية التي تؤدي إلى ضعف الحديث، مع أن ظاهر الحديث الصحة والسلامة.

85 - والحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجج بن بكر بن سعد، وهو من أكابر شيوخ البخاري ومن الأئمة في علم الحديث النبوى.

86 - إسحاق بن راهويه المروزي الحنظلي التميمي (161هـ-238هـ)، الإمام الكبير، شيخ المشرق، سيد الحفاظ، أحد أئمة المسلمين، وعلماء الدين.

87 - علم الرجال هو علم يبحث فيه عن جرح الرواية وتعديلهم بألفاظ مخصوصة وعن مراتب تلك الألفاظ. أو علم رجال الحديث ويسمى أيضاً علم الجرح والتعديل أو علم الجرح والعدالة هو أحد فروع علم الحديث، يبحث فيه عن أحوال روایة الحديث من حيث اتصافهم بشرط قبول روایاتهم أو عدم قبولها.

88 - يحيى بن معين هو الإمام الحافظ، إمام الجرح والتعديل، شيخ المحدثين (ولد سنة 158هـ) أحد كبار علماء الحديث النبوى عند أهل السنة والجماعة وتوفي سنة 277هـ.

.233

89 - محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران، الحنظلي الغطفاني، محدث ومن علماء الجرح والتعديل، كنيته أبو حاتم، ولد سنة 195هـ وتوفي سنة 277هـ.

الإطلاق وأعظمها هو (الجامع الصحيح المسند من حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) وهو المشهور بين الناس (بصحيح البخاري). وهو أصح كتاب بعد كتاب الله على الإطلاق، لأنه اعتمد في كتابه على أعلى درجات الصحة من الأحاديث النبوية.

إطلاله على سبب تأليف كتاب صحيح البخاري.

شاء الله تعالى وهيأً الأسباب لتأليف البخاري كتابه (الصحيح)، وعن سبب تأليفه له يقول رحمه الله: "كنت عند إسحاق بن راهويه - وهو من شيوخ البخاري - فقال: لو جمعتم كتاباً مختصراً للصحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، - وذلك لأن الكتب في زمانه كانت تجمع بين الصحيح والضعيف - قال البخاري: "فوق ذلك في قلبي^{٩١}، فأخذت في جمع الجامع الصحيح" وقد مكث في تأليفه 16 سنة، وفي ذاك الوقت رأى البخاري رؤيا، فقال: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي وكأني واقف بين يديه وبيني مروحة أذبّ بها عنه، فسألت بعض المعتبرين للرؤى فقال لي أنت تذبّ الكذب عن رسول الله، فحملني هذا على جمع الجامع الصحيح". وقد اطلع علماء عصره على كتابه الجامع الصحيح وشهدوا بأن هذا الكتاب هو أفضل كتاب في الحديث من حيث الصحة. ومنمن شهدوا له أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني^{٩٢}، ويحيى بن معين، وغيرهم. وقد كتب الله لهذا الكتاب القبول فهو يعدّ من أكثر الكتب التي شُرحت وحققت من حيث أسانيده^{٩٣}.

٩٠ - وقع في قلبي: أي أثر في نفسي وتعلقت به.

٩١ - أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجح بن بكر بن سعد (١٦١ هـ - ٢٣٤ هـ)، وهو من أكابر شيوخ البخاري ومن الأئمة في علم الحديث النبوبي

٩٢ - الإسناد: نسبة الحديث إلى روایته. ج: أسانيد.

ومتونه^{٩٣}، وأشهر شروحه^{٩٤} فتح الباري^{٩٥} للإمام ابن حجر العسقلاني^{٩٦}، وعمدة القاري للبدر العيني، وإرشاد الساري^{٩٧} للقسطلاني، وغيرها.

ولا يخفى مما سبق ما كان من أثر لكلمة الشيخ إسحاق بن راهويه الطيبة واقتراحته الحسن على البخاري بل وعلى الأمة الإسلامية جمعياً حيث دفعته لتأليف أصح الكتب بعد كتاب الله، ونحسب أن كل هذا في ميزان حسنات شيخه إسحاق بن راهويه.

٩٣ - متن الحديث: غاية ما يتنهى إليه الإسناد من الكلام. ج: متون.

٩٤ - علم شرح الحديث هو من فروع الحديث اعنى العلماء بجمع حدث الأربعين وشرحه لما روى أن النبي قال: من حفظ على أمتي أربعين حديثاً كنت له شفيعاً يوم القيمة.

٩٥ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري ألفه الحافظ ابن حجر العسقلاني وهو من كتب تفسير الحديث وأجمعها في شرح صحيح البخاري.

٩٦ - هو شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد الكنافى العسقلاني، ثم المصري (شعبان ٧٧٣ هـ / ١٣٧١ م - ذو الحجة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)، محدثٌ وعالمٌ مسلمٌ، شافعي المذهب، لقب بعده ألقاب منها شيخ الإسلام وأمير المؤمنين في الحديث.

٩٧ - إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري هو كتاب من كتب تحقيق الحديث، ألفه الشيخ شهاب الدين القسطلاني، يعتبر الكتاب مرجعًا في فقه الحديث وهو شرُّح على أصح الكتب بعد القرآن الكريم وهو صحيح البخاري، اعتمد فيه مصنفه على شرح السندي والمتن، وهو يشرح المفردات ويبين ما يستنبط من الحديث أيضاً معتمداً على أقوال أهل العلم والفقهاء وأرائهم.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلَّابُ فِي ثُنائِيَّاتٍ قَائِمَةً الدُّرُوسِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ الدُّرْسِ

 - الصيغة المطلوبة في طلب العلم هو سعي في طريق الجنة.
 - العمل والاجتهاد بنية صالحة قد يبلغ صاحبه مكانة لا يقترب منها أحد.
 - للأسرة دور عظيم في خدمة الأمة وذلك بتربية الأبناء الصالحين.

أسئلة للاستيعاب

1. اشرح كيف يمكن لـإنسان أن يتميز عن أبناء قريته جميعاً في مجال ما؟ واذكر أمثلة من واقع حياتك.
 2. استخرج من الفقرة الثانية:
 - أ- أسباب حفظ الله تعالى للسنة النبوية الشريفة؟
 - ب- كيف كان منهج الأئمة الذين اشتغلوا بجمع الحديث الشريف؟
 3. مما قرأت هاتِ دليلاً على أثر صلاح الأم على الأولاد؟ واذكر مثلاً شبيهاً من واقع حياتك لأم صالحة نفع صلاحها أولادها (إن وُجد).
 4. الأرض الطيبة لا تُخرج إلا نبتاً طيباً. اشرح هذه العبارة من واقع نشأة الإمام البخاري - رضي الله عنه.
 5. اشرح لنا دور أم الإمام البخاري في وصوله إلى ما وصل إليه من علم ورفعة شأن! وكيف ترى ما فعلت؟
 6. احكِ لنا عن أم / أب في محيطكم فعل(ت) شيئاً قريباً من هذا مع أبنائه(ا) في رحلة طلب العلم.
 7. علام يدل كثرة العلماء الذين يتعلّم على أيديهم المرء؟
 8. كم أستاذًا تعلّمت على أيديهم وانتفعت بعلمهم (اذكر أسماء 10 منهم)، واذكر لكل منهم صفة بقيت معك ولا زمتك حياتك؟
 9. لخص لنا شفاهة سبب تأليف الإمام البخاري لكتابه الصحيح.
 10. هناك بعض العلامات والأئمّرات الداللة على قبول الله تعالى لكتاب الإمام البخاري. اذكر بعضها.

11. قد يلقي أحدهنا كلمة على الحاضرين فيتفق بها الأمة كلها أو بعضها. اذكر دليلاً على صدق هذه العبارة مما قرأت. وهل حدث في محيطك مثل هذا.
12. ورد في هذا الموضوع فائدتان بِيَنَّ المقصود منهما وكيف يستفيد من تحقّقهما المجتمع.
13. تخيل أنك قابلت الآن الإمام البخاري:
 أ. أسأله ثلاثة أسئلة عن كتابه "صحيح البخاري".
 ب. وجّه كلمة شكر ودعاة جزاء ما فعل لخدمة الإسلام وال المسلمين.
14. ما المقصود بهذه العبارة "صحيح البخاري": أصبح كتاب بعد كتاب الله تعالى؟ وعلام يدل ذلك؟
15. وجّه كلمة لأمهات اليوم مبيناً فيها ما يجب عليهم فعله مع أبنائهم - متمثلاً بأم الإمام البخاري، وأم أخرى من واقع حياتك.
16. وجّه كلمة لطلاب اليوم مبيناً فيها واجبهم توجاه تلقى العلم، وتوجاه معلميهم.
17. اذكر أهم ما تعلمه الأم (أو ما يتعلمها الأب) من هذا الموضوع. (5 دروس وعبر).
18. اذكر أهم ما يتعلم طالب العلم من هذا الموضوع (5 دروس وعبر).

٤- محمد بن القاسم.. القائد المظلوم

التعريف به

محمد بن القاسم الثقفي قائد أحد جيوش الفتح، أشتهر بكونه فاتح بلاد السيند. ولد في عام ٧٢ هـ بمدينة الطائف في أسرة معروفة، فقد كان جده محمد بن الحكم من كبار ثقيف^{٩٨}، كان والده «القاسم الثقفي» والياً على البصرة، وهو ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي. عاش وترعرع في مدينة واسط^{٩٩} التي بناها الحجاج معاكراً لجنده الذين يعتمد عليهم في الحروب، وفي هذه المدينة وغيرها من مدن العراق نشأ نشأة دينية وعسكرية جعلته شاباً بلا مرآفة، فكانت كل اهتماماته عسكرية جادة لعز الإسلام والمسلمين؛ مما أهل^{١٠٠}هـ لأن يكون من عظماء القادة وهو لم يتجاوز عمره ١٧ سنة.

محمد بن القاسم نموذجٌ مشرفٌ لكن ظلمه التاريخ

دائماً ما نرى في تاريخنا الإسلامي المُشرق المُشرف نماذج من القيادات الشابة الذين كانوا شامة^{١٠١} في دنيا القدوات وهو في ريعان شبابه^{١٠٢}، فنجد منهم منْ كانوا على قدر كبير من المسؤولية تجاه دينهم ووطنهم، وكانوا على

٩٨ - ثقيف قبيلة عربية تقيم منذ ما قبل الإسلام وإلى اليوم في مدينة الطائف وما حولها غرب شبه الجزيرة العربية وهي إحدى قبائل قيس عيلان المعروفة بالقبائل القيسية.

٩٩ - واسط (عرفت كذلك بأسماء واسط الحجاج وواسط العظمى وواسط العراق) كانت مدينة تاريخية بسوار العراق ازدهرت خلال العصور الوسطى.

١٠٠ - أهلة: جعله مستحناً وأهلاً للشيء.

١٠١ - الشامة: العلامة البارزة. ج: شامات وشام.

١٠٢ - رَيْعَانُ كُلِّ شَيْءٍ: أَوْلُهُ وَأَفْضَلُه.

الأَهْبَة¹⁰³ دائمًا في خدمة شعوبهم، فما أن يدعوهم داعيُّ الجهاد في سبيل الله إِلَّا ولبّوه¹⁰⁴، وكانوا في المقدمة يقدمون أرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون من غالٍ ورخيص في سبيل دينهم وأمتهم وقومهم.

ومن هؤلاء الأَفْذَاد¹⁰⁵ محمد بن القاسم الثقفي أحد شباب المسلمين الذين ظلمُهم التاريخ، وظلمه بعض أمرائه لما سُوِّلت لهم أنفسهم سجنه وقتله - لأمور شخصية نفسية - وهو الذي كان قد فتح الله على يديه بلاد ما وراء النهر¹⁰⁶ ودخل هذه البلاد بسيبه، وبسببه تم إرجاع المسلمين الاتي خطفهمن أحد حكام بلاد ما وراء النهر الظلمة الكفرة. كان مقاتلاً فذًا، وقائداً إنسانياً من طراز فريد¹⁰⁷، وصفه المؤرخون بالتزام الإنسانية والقيم الإسلامية والأُخْلَاقِيَّة في كل حrophe، فلم يعرف عنه أبداً أنه قتل امرأةً ولا طفلاً ولا شيخاً كبيراً ولا مَنْ لا علاقَة له بالحرب، وللأسف، فرغم كل ذلك فإن الكثير من شبابنا الآن لا يعرفون عن سيرته وحياته شيئاً!!

103 - الأَهْبَة: الاستعداد.

104 - لبُوه: أطاعوه وأجابوه.

105 - الأَفْذَاد: م الفذ، وهو المتفَرِّد في مكانه، أو كفایته.

106 - بلاد ما وراء النهر، هي منطقة تاريخية وجزء من آسيا الوسطى، تشمل أراضيها أوزبكستان والجزء الجنوبي الغربي من كازاخستان والجزء الجنوبي من قيرغيزستان.

107 - طراز فريد: شكل ونمط لا مثيل له.

سبب فتح بلاد السند¹⁰⁸

وكانت الفتوحات الإسلامية في أوج توسيعاتها في أيام خليفة المسلمين آنذاك الوليد بن عبد الملك أعظم ملوك الأمويين على الإطلاق¹⁰⁹، وكان في وقته أعظم ملوك السند وأقواهم بأساً ملك يسمى (داهر)، - هذا الذي قتل عامل الحجاج¹¹⁰ محمد بن هارون وهزم جيوش المسلمين - وببلاد السند هذه هي بوابة القارة الهندية ولا يمكن السيطرة عليها إلا بالسيطرة على السند (باكستان وما حولها الآن).

ثم حدث في سنة 88هـ أن سفينية عربية كانت قادمة من جزيرة الياقوت (بلاد سيلان)¹¹¹ عليها نساء مسلمات، وقد مات آباءهنَّ ولم يبق لهنَّ راعٍ هناك، فقررن السفر للإقامة في العراق، ورأى ملك سيلان في ذلك فرصةً للتقارب إلى العرب فوافق على سفرهنَّ، بل حمل السفينية بهدايا إلى الحجاج

108 - الزاوية الغربية لجنوب آسيا الوسطى، ويحدها من الشمال والغرب مقاطعات بلوشستان، ومن الشمال الشرقي إقليم البنجاب، وولايات راجستان وغوجارات الهندية من الشرق، ومن الجنوب خليج العرب. يعتبر إقليم السند ثالث أكبر الأقاليم الأربع التي تضمها باكستان.

109 - أبو العباس الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي سادس خلفاء الدولة الأموية ولد في المدينة المنورة وتولى الخلافة بعد وفاة والده عبد الملك بن مروان عام 86هـ واستمرت خلافته عشر سنوات حتى وفاته عام 96هـ، وهو الذي أنشأ الجامع الأموي في دمشق.

110 - أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي (40 - 95هـ)، قائد في العهد الأموي، ولد ونشأ في الطائف وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قُلِّدَ عبد الملك بن مروان أمر عسكره.

111 - جزيرة سيلان في جنوب قارة آسيا وجنوبي الهند. وسيلان هو الاسم القديم للدولة سريلانكا حالياً، وتعتبر جزيرة من جزر المحيط الهندي، وتُعرف رسمياً باسم جمهورية سريلانكا الديموقراطية.

وال الخليفة الوليد بن عبد الملك، وبينما كانت السفينة في طريقها إلى البصرة مارة بميناء الدبيل¹¹² ببلاد السندين، خرج قراصنة من السندين واستولوا عليها وأخذوا كل ما فيها حتى النساء، وجاء الخبر للحجاج بن يوسف والي العراق آنذاك فكتب الحجاج إلى ملك السندين يطلب منه الإفراج عن السفينة الإسلامية ومن فيها من النساء المسلمات، لكن هذا الملك رد على الحجاج بن يوسف معذراً عن ذلك، واحتج بأن الذين خطفوا هذه السفينة هم لصوص وأنه لا يقدر عليهم.

محاولة أولى غير ناجحة!

من هنا قرر الحجاج فتح هذه البلاد كلها وتخليص المسلمات، فجهز الحجاج جيشين كبيرين الأول بقيادة (عبد الله بن نبهان الإسلامي)، والثاني بقيادة (دبيل البجلي)، وفشل كلتا الحملتين، وقتل فيها القائدان، وأسر بعض الجنود المسلمين، ورجع الباقى مهزومين، وما أن وصلت هذه الأخبار إلى الحجاج أن النساء المسلمات والجنود الذين تم أسرهم كلهم في سجن العاصمة في الدبيل، ورأى مدى الإهانة التي ستلحق بهيبة المسلمين لو سكت عن تلبية نداء مسلمات اللاطى تم انتهاء حقوقيهن وأسرهن، فعندما جهز جيشاً كبيراً رد هيبة¹¹³ المسلمين وإرجاع المسلمات!

قائدٌ فذٌ ومهمةٌ خطيرةٌ!

وهنا بدأ الحجاج يفكر من هذا الذي سيختاره قائداً لجيشه في هذه المهمة الخطيرة؟ فاختار ابن أخيه القائد الشاب (محمد بن القاسم)، فهل اختاره

112 - الدبيل (بالأردية: دیل) مدينة عريقة في السندين جنوبي باكستان. ومنها دخل الإسلام إلى جنوب آسيا، وتعرف حالياً بمدينة كراتشي.

113 - هيبة: مهابة والمقصود: مكانة.

الحجاج لقرباته منه فقط؟ كما قد نرى الآن في دنيا الناس؟ كلاً كلاً، إنما اختاره لكفاءته القيادية والعسكرية فضلاً عن ثقته فيه وفي قدراته، وفعلاً كان محمد بن القاسم يجمع الأمراء، الثقة والكفاءة الحقيقية؛ ولهذا استقر رأيُ الحجاج على تعيين ابن أخيه القائد الفذّ (محمد بن القاسم الثقفي) لهذه المهمة الصعبة والتي هُزم فيها القادة السابقون له، فجهزه تجهيزاً جيداً، وبعث معه جيشاً قوامه^{١14} نحو 20 ألف جندي.

تنويه للشباب المسلم!

وكان هذا القائد المختار لهذا العمل العظيم آنذاك لم يكن قد تجاوز 17 عاماً!! (في زماننا الآن يكون في الصف الثالث الثانوي). نعم، سبعة عشر عاماً ويقود جيوش المسلمين لفتح أكبر الممالك في المناطق الشرقية، بل ويهدد أكبر ملوك الهند في ذلك الوقت. هنا وجب التنويه بمراجعة أنفسنا في تربية أبنائنا في هذه الأيام، من أجل غرس القيم واتخاذ القدوتات الصحيحة لهم!!

شرط الحجاج! وشرط القائد الفذ؟

اشترط الحجاج على هذا الشاب الفذ ألا يرجع إلا متصرراً فاتحاً هذه البلاد مخلصاً المسلمين من يد الكفار، فرداً عليه هذا القائد الشاب، لك هذا وزيادة! بشرط أن تعطيني مع هذا الجيش أسطولاً بحرياً يساند جيشي، فأعطاه الحجاج ما طلب، وتحرك محمد بن القاسم بجيشه نحو بلاد السند وبدأ يفتح مدنها المدينة تلو الأخرى متوجهها نحو مدينة الدليل التي كانت من أحسن مدن السند فقام بحفر الخنادق ونصب المجانيد حولها ودارت رحى حرب شديدة مع جيشه، لكن سرعان ما فتحها بعد قتالٍ عنيف دام 3 أيام

فهدم تمثال "بودا الكبير" بها جراء^{١١٥} ما فعلوه بال المسلمين وال المسلمات، و هدم معابدها و صبغها بصبغة إسلامية تامة.

محمد بن القاسم يستكمل مسيرة الجهاد وفتح بلاد السندي.

وبعد فتح الدبيبل، سمعت البلاد المجاورة لها بما حدث للدبيبل وهي المدينة الحصينة فطلبت أهل المدن المجاورة من محمد بن القاسم الصلح فصالحهم على ذلك، ثم مضى يكمل مسيرته الجهادية في فتح غيرها من البلاد، فعبرَ محمد نهرَ السندي، وفاجأ ملكها (داهر) ملكَ السندي الذي كان قد أعدَ جيشاً ضخماً و معه 60 فيلاً ليقاتل جيش المسلمين، فالتقى الجيشان في معركةٍ حامية استمرت 7 أيام وكان ذلك في شهر رمضان سنة 92 و قبيل سنة 93 هـ قُتل فيها داهر و حرقَت امرأته نفسها هي وجواريها، و وقعت (صيانتا) ابنته في الأسر، واستسلمت باقي بلاد السندي وأصبحت جزءاً من بلاد الإسلام، ثم التقى محمد بجيش إقليم "الكيرج" وهي بلدةٌ على حدود الهند، فهزمهم المسلمين هزيمة منكرة و قتلوا ملكها وكان اسمه (دوهر)، وكان رحمة الله يعامل الأسرى وأهل هذه البلاد المفتوحة بأخلاق الإسلام و تعاليمه فعفا عنهم و عاملهم بالحسنى، و حمى لهم ديارهم ومعابدهم وأموالهم، فبدأ الناس يدخلون في دين الله حتى انضم إلى جيشه من هؤلاء أربعة آلاف مقاتل.

ابن القاسم ضحية الخلافات الشخصية.

للأسف، لم تكتمل فرحته بدخول الإسلام هذه البلاد ولا بهذه الانتصارات التي لم ينجزها أحد قبله!! حتى بدأت مؤساته التي أودت بحياته على يد الخليفة سليمان بن عبد الملك بن مروان فما هي قصته معه. لقد كان

من أهم الإنجازات العسكرية لمحمد بن القاسم الثقيفي: فتح بلاد السندي وبعض بلاد الهند. وفتح بعض بلاد البنجاب¹¹⁶. وفتح مدينة الدليل. لكن بعد هذه الفتوحات بقليل مات الحاج والي العراق، ومات بعده بقليل الوليد بن عبد الملك سنة 96هـ، ومن ثم تولى سليمان بن عبد الملك بعده وكان هذا هو سبب مأساة هذا البطل العظيم المجاهد محمد بن القاسم الثقيفي، حيث كان سليمان بن عبد الملك يبغض الحجاج وأهله وولاته وقاده جيوشه ومنهم بطلاً هذا، فلما تولى أصدر قراراً بعزل محمد بن القاسم الثقيفي، وولى رجلاً من أتباعه اسمه يزيد بن أبي كبشة، وأمره بالقبض على محمد بن القاسم، هذا البطل المغوار وهو يسير من انتصار لانتصار، وبعد أن كان على وشك أن يفتح الهند كلها، يأتي الأمر بالقبض عليه وسجنه وإرساله إلى العراق ليموت في سجنه تحت التعذيب!!

نبأ العزل وموقف الأنصار.

لما وصل نبأ عزل محمد بن القاسم حاول بعض أنصاره ومحبيه أن يقنعوا بالعصيان، قائلين له:

- إنك تسيطر على كل هذه المناطق ولا يستطيعون أن يصلوا إليك..
- تستطيع أن تعلن خلافة لك هنا وتتنفرد بهذه البلاد البعيدة عن مركز الخلافة..

- حاولوا إقناعه بأنه مظلوم -وفعلاً هو مظلوم-، لكن محمد بن القاسم كان طرزاً نادراً في الأخلاق، كان من القادة الذين يعملون لخدمة أمتهم وخدمة الإسلام لا يريدون من الدنيا شيئاً، فخاف من نتيجة هذا الأمر

116 - البنجاب هي ولاية في شمال الهند، تُشكِّل جُزءاً من منطقة البنجاب الأكبر في شبه القارة الهندية.

في الدنيا، وما سيؤدي إليه من تفرق الأمة وتمزقها، وخفاف من عقاب الله في الآخرة إن كان هو سبب في تفرقة بلاد المسلمين وتجزئتها؛ ولذا وافق على قرار العزل دون مقاومة.

ابنة الملك ”داهر“ وفريتها الشنيعة!

خلال هذه الأحداث كانت (صيتا) ابنة داهر قد امتلاً قلبها حقداً على محمد بن القاسم، فلما علمت بعزله من منصبه أرادت أن تدرك ثأرها^{١١} وتشفي غليلها، فتقدمت إلى الوالي الجديد يزيد بن أبي كبيشة وهي تعلم خلافهم مع محمد بن القاسم، فادعَتْ أنَّ محمدَ بنَ القاسمَ اغتصبها بالقوة بعد وقوعها في الأسر، وهي تهمة عظيمة وفريدة كاذبة من وثنية شركة على بطل عظيم، وجاء القرار بعزل محمد والقبض عليه وإرساله إلى والي العراق صالح بن عبد الرحمن للتحقيق، وبالفعل أخذ هذا البطل العظيم مقيداً بالأغلال والسلالس، وكان المشهد شديد الآثر على مسلمي السندي؛ فاصطفوا لوداعه وهم ي يكون ولسانُ حاله ينشد قائلاً:

أَضَاعُونِي وَأَيِّ فَتَّى أَضَاعُوا
لِيَوْمِ كَرِيمَةٍ وَسِدَادٍ ثَغْرٍ

فعدبه صالح بن عبد الرحمن شهوراً، وظل ثابتاً صامداً تحت التعذيب متمسكاً ببراءته وطهارته من هذه الكذبة. ولم يكن له من ذنب سوى فتوحاته العظيمة وقرباته من الحجاج، وجاءت اللحظة الحزينة التي مات فيها في السجن مظلوماً شهيداً -بإذن الله-. وحينئذٍ حزن عليه مسلمو السندي بينما فرح كفارها لخروجه بهذه الطريقة المُهينَة؛ وخلعوا الطاعة وعادوا للكفر وهموا بإخراج المسلمين، وتوقفت مسيرة فتح الهند بعزل هذا البطل لعدة قرونٍ

بعدها، وبعد أن ادَّعَتْ (صيَّتاً) الكافرة أنَّ مُحَمَّداً اغتصبها بالقوَّةِ، عادَتْ بعد موته تحت التعذيب والتنكيل وتحرَّك ضميرُهَا واعترفت بجريمتها! نعم قد اعترفت هذه الكافرة ببراءتها من التهمة الشناعَّةِ! إلا أنَّ هذا الاعتراف جاء متأخِّراً جدَّاً، ولذا أمرَ الخليفةُ سليمانُ بن عبدِ الملك بقتلها جزاءً لافتراضها وقصاصها لهذا البطل البريءِ، لكنَّ بعدَ أن سبقَ السيف العزل!! - رحم الله محمد بن القاسم الذي توفي في سنة 96هـ، مات هذا القائد الفاتح الشاب وعمره - يا شباب الأمة - 23 سنة فقط.

قضايا ووصايا!

ومن هذه القصة يتبدى لنا بعضاً من القضايا المهمة التي نلخصها في عجالَةٍ:

أولاً: يعدَّ محمد بن القاسم رضي الله عنه نمطاً من القادة والأمراء والعلماء والعلماء هم من يستحقون أن يكونوا قدوةً لشبابنا وشَابَاتِنا في هذه الأيام، وليس غيرهم.

ثانياً: نحن غالباً لا نتعلم من أخطائنا فنكر بعضها في حياتنا بل ونثارها جيلاً بعد جيل؛ حيث ندخل الخلافات الشخصية في أمور اختيار القادة والأكفاء وأمور توليتهم وعزلهم في كل مجالاتنا العسكرية والسياسية والثقافية والتربوية والدينية والتعليمية، وغيرها، مع أنَّ هذا ضد الإنسانية وضد النجاح وضد التقدم وفيه تضييع للكفاءات وخلق للشجار والمنازعات !!

ثالثاً: الحق والعدالة والإنصاف ونبذ الخلافات وإثارة أهل الكفاءات على أهل الثقة والقرابة في سوس أمور الدول والبلدان، من أهم أسباب

النصر، وليتعلم القادة ألا يجعلوا أمثال هؤلاء العظماء والكتفاءات ضحايا للخلاف السياسي بينهم.

رابعاً: لا بد أن يأخذ الشباب فرصتهم في القيادة وتولي المناصب العليا في شتى المجالات، فهم عماد نهضة الأمم وسر تقدمها وأعمدة نهضتها، وتاريخنا الإسلامي مليء بأمثال محمد بن القاسم -رضي الله عنهم أجمعين-

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكمل الطلاب في ثنائيات قائمَة الدُّرُوس التَّربُويَّة المُسْتَفَادة مِن الدُّرُس

1. قد يكون الإنسان صغيراً في السن لكنه كبير في القيمة والقدر.
 2. يغار المسلم على دينه ووطنه وعرضه وكرامته ويثير لكل ذلك.
 3. الأمة الناجحة هي التي تعطى للشباب دورهم في القيادة.

أسئلة للاستيعاب

1. اشرح كيف نشأ محمد بن القاسم نشأة جندية وعسكرية.
2. ورد في الموضوع بعض صفات الشباب الفذ الذي نحب أن يكون في المجتمع المسلم، فما هي؟
3. دلل على أمارات القيادة والتلألق التي بدت على محمد بن القاسم، منذ الصغر.
4. ما السبب الذي جعل الحجاج بن يوسف الثقفي يصر على فتح بلاد السندين؟
5. ما الدليل على صعوبة فتح بلاد السندين؟
6. كان اختيار الحجاج "ابن عمه" الصغير السن لفتح السندين اختياراً غير موفق.
7. دلل على خطأ هذه العبارة.
8. تكلم عن المحاولة الأولى غير الناجحة لفتح السندين؟
9. في فتح بلاد السندين كان لكل من الحجاج ومحمد بن القاسم شرط على صاحبه "أ-

 - أ- اشرح هذه العبارة مبيّناً الشرطين؟ وكيف وفّى كل منهما بشرطه؟
 - ب- كان ابن القاسم ضحية الخلافات الشخصية. اشرح هذه العبارة.

10. تخيل أنك الحجاج بن يوسف الثقفي وأجب عن التالي:
 أ- بماذا شعرت حين سمعت خبر أسر سفينة النساء المسلمات?
 ب- لماذا اختارت ابن عمك من أجل أن يفتح بلاد السندين؟

11. تخيل أنك محمد بن القاسم، وأجب عن التالي:

- أ- بماذا شعرت حين اختارك الحجاج لفتح بلاد السندي؟
- ب- ماذا تقول فيمن ظلموك وسجنوك وعذبوك حتى الموت.
- ت- ماذا تقول لابنة الملك التي اتھمتك في شرفك ظلماً وعدواناً.

12. تخيلي أنك أنت ابنة الملك وأجيبي:

- أ- لماذا اتهمتِ محمد بن القاسم هذه التهمة الشنيعة؟
- ب- ولماذا تراجعت عن اتهامك.

13. حدد موضع الفقرات التي وردت فيها القضايا التالية:

- أ- إعطاء الفرصة لقيادة الشباب واجب على أولى الأمر.
- ب- تولية أهل القرابة لا إشكال فيه ما داموا أكفاء.
- ت- البيئة تؤثر في نشأة الفرد.
- ث- الظلم وأخذ الناس بجرائم غيرهم.
- ج- ضرورة التثبت من الادعاءات.
- ح- الرجوع إلى الحق واجب على الإنسان المخطئ.
- خ- سبق السيف العزل!
- د- للبيئة أثراً على الفرد، لا شك.
- ذ- النزاعات والخلافات الشخصية تُفشل الأمة!
- ر- ما أهم الدروس التربوية التي خرجت بها من هذا الموضوع؟
- ز- لو طلب منك عنواناً آخر لهذا الموضوع، فبم تُعنِّونِيه؟

5- البوطي.. صبره وثباته

التعريف به.

لا يوجد في كتب التراجم والسير¹¹⁸ أي ذكر لتاريخ ولادة البوطي، سوى أنه ولد في قرية تدعى "بُويطٌ"، وهي إحدى قرى صعيد مصر، وإليها يعود نسبه، وقد نشأ وترعرع فيها، وتلقى تعليمه الأولى على يد شيوخها. كبرت مكانة البوطي في مصر ووهبه الله قبولاً في قلوب الخلق، وهيبة¹¹⁹ عند الحكام والمحكمين، وأتباعاً من طلاب العلم ما أكثرهم، فقد كانت حلقة في المسجد أعظم الحلقات، وكان تلاميذه بعشرات الآلاف في مصر وخارجها.

ظهور بدعة خلق القرآن!

ظهرت بدعة¹²⁰ القول بخلق القرآن¹²¹ ببغداد، على يد المعتزلة¹²² الذين وجدوا ضالتهم¹²³ في الخليفة المأمون العباسي الذي اقتنع ببدعتهم في القول

118 - السير والتراجم هي إحدى أصناف العلوم الإنسانية، التي تهتم بحياة الأشخاص وأهم أعمالهم.

119 - هيبة الرَّجُل: مَهَابُتُهُ.

120 - الْبِدْعَةُ: مَا اسْتُحْدِثُ فِي الدِّينِ وغَيْرِهِ عَلَى غَيْرِ مَثَلٍ سَابِقٍ لَهَا. ج: بِدْعَاتٍ وَبِدَعٍ.

121 - فتنة خلق القرآن: أو محنَة خلق القرآن انتشرت في عهد الخليفة العباسي المأمون من قِبَل طائفة المعتزلة والتي تقول إن القرآن مخلوق، وكلام الله مخلوق، وهو ما ابتدع القول به الجهم بن صفوان، واقتنع بهذا الرأي الخليفة المأمون وطالب بنشر هذا الفكر وعزل كل قاض لا يؤمِن به.

122 - المُعْتَزِلَةُ: فرقَةٌ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ يَخْالِفُونَ أَهْلَ السُّنْنَةَ فِي بَعْضِ الْمُعْقَدَاتِ.

123 - ضالتهم: أي حاجتهم وما يريدون.

بخلق القرآن، وعمل على إجبار الناس للقول بها. لكن لم يكن الأمر سهلا فالصالحون المخلصون من العلماء والفقهاء والمحدثين رفضوا هذه البدعة، مما دفع المأمون سنة 218 هـ إلى حمل¹²⁴ الناس على القول بها. ولكن لم يطل العمر بالمأمون فمات من عامه ذلك 218 هـ، وتولى الخلافة بعده المعتصم وكان مشغولا بالغزو والفتورات، ولكنه عمل بوصية المأمون وهي إجبار الناس على القول بخلق القرآن، وتوفي المعتصم سنة 227 هـ.

ابن أبي دؤاد ودوره في فتنة خلق القرآن!

ثم خلف المعتصم ابنه الواثق¹²⁵ ومعه حديث محبة الإمام أحمد المشهورة، وكان أشد الخلفاء اعتماداً بهذه البدعة، ورغبة في نشرها، بسبب تأثير راعي البدعة¹²⁶ الأول القاضي "أحمد بن أبي دؤاد الإيادي"¹²⁸ عليه، فتسبب في محبة المسلمين عظيمة. فقد استغل أحمد بن أبي دؤاد علاقته بالواثق فعمل على نشر هذه البدعة بين المسلمين بكل الطرق، حتى أنه لا يتم تعين¹²⁹ أي عامل للدولة إلا بعد اختباره بهذه البدعة، ومطاردة كل من يقول بخلافها، وسجنه وحتى قتله!!.

124 - حَمْلٌ: إِجْبَارٌ وِإِكْرَاهٌ.

125 - هو هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد (6232هـ) خليفة عباسي من خلفاء الدولة العباسية في العراق. أمه أم ولد رومية اسمها قراتيس.

126 - المُحْمَنَةُ: البَلَاءُ، وَالشَّدَّةُ وَالجَمْعُ: مِحْنٌ.

127 - راعي الفتنة: المقصود سببها ومن سعى في انتشارها.

128 - هو قاضٍ من المعتزلة. ولد سنة 160هـ نشأ في دمشق، ثم رحل إلى العراق، وهناك اتصل بالخلفاء المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل. واعتقد بخلق القرآن، وأقنع الخلفاء بفرض هذه الفكرة على الناس. توفي في بغداد سنة 240هـ. بعد إصابته بالشلل.

129 - تعين: توظيف.

الفتنة القديمة الجديدة!

ولعل هذه الفتنة أن تكون قديمة جديدة، ففي أيامنا هذه كثيراً ما نرى تحكّم بعض المبتدعة الذين ينسبون لدين الله زوراً^{١٣٠} وبهتانًا^{١٣١} ما ليس فيه، فيختبرون الناس فيما يقولون، فيوالون من رأى رأيهم ويرضون عنهم ويضعونهم في المناصب أو يُغدقون عليهم من العطايا والهبات من أموال العامة، ويعنونهم من حقوقهم ويعادونهم لأنهم لا يرون رأيهم! والله المستعان.

الظلم وإساءة استخدام السلطة!

نتيجة لهذه السياسة تم تولية القاضي المعترلي أبي بكر الأصم^{١٣٢} في منصب قاضي مصر، فلما جاء مصر رأى مكانة الإمام البوطيي والجامعة الغفيرة التي تبعه، وهنا علم القاضي الأصم أن الإمام البوطيي يعارض تلك البدعة بل يناهضها^{١٣٣} ويدعو إلى التزام الحق أن القرآن كلام الله فأسرع

130 - الزَّوْرُ: الباطل .. والزَّوْرُ الكَذْبُ.

131 - عُرِفَ بِالْبُهْتَانِ بَيْنَ زُمَلَائِهِ: بِالْكَذْبِ وَالْأَفْتَرَاءِ، وَالْخُتْلَاقِ الْكَذْبِ.

132 - عبد الرحمن بن كيسان الأصم (201. 201. 279). فقيه ومفسر ومتكلم معترلي، عده القاضي عبد الجبار من الطبقة السادسة من الاعتزال، والتي وضع على رأسها أبي الهذيل العلاف. كان جليل المقدار، يكتبه السلطان، وكان صبوراً على الفقر، منقبضاً عن الدولة، وكان يصلبي خلفه في مسجده في البصرة ثمانون شيخاً من علمائها، وهو أحد من له الرياسة في حياته.

133 - يعارض: يرفض.

134 - يناهض: يقف ضدها ويحاربها.

يابلاع بن أبي دؤاد، فكتب ابن أبي دؤاد إلى والي مصر وأمره بامتحان البوطي^{١٣٥} على خلق القرآن فإن أجاب وإن لم يوضعه في السجن.

البوطي أمّام الوالي!

وجاءت الرسالة للوالى الذى كان محبًا للبوطي، معظمًا لعلمه وورعه، ويكره أن يكون سببًا في سجنه، فأرسل إليه يستدعيه، ولما مثل^{١٣٦} البوطي بين يدي الوالى، أمر الوالى بإخلاء المكان من المتواجدين تماماً ثم قال للإمام البوطي سرًا بالأمر، وقال له: "يا أبي يعقوب أُبِّقَ على نفسك، وقل بالأمر سرًا" بيني وبينك، فأنا لا أملك مخالفتك ابن أبي دؤاد، وأنت تعلم مكانه من الواثق"^{١٣٧} ولكن الإمام البوطي ليس الذي يترخص أو يستخدم (التفقيه)^{١٣٨} ولا يداهن^{١٣٩} في دينه، ولا هو من يترخص لنفسه ويكون سببًا في إفساد دين الناس فهو يعلم دوره كعالم وشيخ وداعية ومكانته والتوكيل الشرعي له بتبيان الحق في وقته ولو كلفه ذلك روحه. فقال للوالى بصوت مسموع هادئ: "إنه يقتدي بي مائة ألف أو يزيدون، لا يدركون أني أتظاهر فقط بالموافقة، وإن أجبتك أنا لما تقول، أجابواهم أيضًا".

١٣٥ - المقصود يسأله عن خلق القرآن فإن قال بها نجا، وإن خالفها سجنه وربما قتله.

١٣٦ - مثل: وقف وحضر.

١٣٧ - التفقيه: هي تجنب العدو بإظهار ما يوافقه مع إضمار ما يخالفه من عقيدة ونحوها.

١٣٨ - مُدَاهَنَةُ الْمَسْؤُولِينَ: الْمُلَائِكَةُ، الْمُدَارَاةُ.

١٣٩ - ترخص الشخص في الأمور: تساهل فيها، أخذ فيها بالشخصية.

إهانة العلماء الثقة ذنب عظيم!

فاحترار الوالي الذي كان يُحبّ البوطي ويقدّره، ولكن الخبر وصل لطاغية بدعة خلق القرآن ابن أبي دؤاد، فأمر على وجه السرعة بحمله إلى بغداد، لكن مع إهانة الشيخ الوقور العالم الربّاني البوطي، فأمر بضربه وترهيه أوّلاً وإن لم يستجب فليغله¹⁴⁰ بالحديد الثقيل، وليوثق رباطه حتى يكون عبرة للجميع !! وكان ذلك سنة 233 هـ.

حين يبلغ إيداء الصالحين مبلغه !

وما إن وصل الشيخ البوطي بغداد حتى سجنه في سجنها بعد استجوابه ورفض البوطي إجابته لدعنته، وصبر على سجنه وضربه وإهانته ولكنه لم يلين في الحق، وظلّ ثابتاً على المبدأ الحق وإن كان في هذا سُترة روّحه¹⁴¹. وهنا يصف لنا الريبع بن سليمان هذا المشهد من هذا العالم فقال: "رأيت البوطي على بغل، في عنقه غلٌ وفي رجليه قيد، وبين الغل والقيد سلسلة من حديد فيها طوبةً وزنها حوالي أربعين رطلًا، وهو يقول: إنما خلق الله - سبحانه - الخلق (بِكُنْ)، فإذا كانت كن مخلوقة فكان مخلوقاً خلق مخلوقاً، ووالله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم، ولئن أدخلت عليه لأصدقنه يقصد الخليفة الواثق. قال الريبع: وكتب إلى البوطي وهو في السجن إنه ليأتي على أوقاتٍ ما أحمس بالحديد أنه على بدني حتى تمسه يدي فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك

140 - غلٌ عنقه أو يده: وضع فيها الغل، القيد.

141 - يقصد: سيموت وفارق روحه الحياة.

مع أهل حلقتك، واستوص بالغرباء خاصة خيراً، فكثيراً ما كنت أسمع الشافعي يتمثل بهذا البيت:

أهين لهم نفسي لكي يكرمونها ولا تُكرِّمُ النَّفْسُ الَّتِي لَا تُهْنِهَا

في صبر الصالحين على المحنـة لنا آية!

انظروا لهذا الإمام العالم الرباني، فها هو يُحمل من الفساط (القاهرة الآن) إلى بغداد على بَغْلٍ وهو مقيد بالقيود والأغلال في يديه ورجليه، في رحلة تمتد أسابيع ومع هَذَا لم يهتز ولم تلين له قناة، ولم يخضع لهم فيما يريدون، ولم يترخص لنفسه رغم طول المسافة، وشدة العذاب الذي عذبوا له ومدى إهانتهم له. لكنه العلم الذي يقترن به العمل، إنه العالم الذي لا يخشى إلا الله، فهو لا يخاف على منصب ولا يخاف من صاحب منصب، بل ظل يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فكان معلماً مربياً واعظاً لكل من يمر عليه من المسلمين.

مكر أهل الباطل! وثبات على الموقف.

فلما بلغ ابن أبي دؤاد مدى ثباته وإصراره وما فعله وقاله حتى وصوله لبغداد وأنه لم يتراجع أبداً عما هو عليه، اشتد غضبه عليه، فلم يمتحنه بسؤال بدعة خلق القرآن مثلما فعل مع غيره، ولم يدخله على الخليفة كما حدث مع غيره من كبار العلماء خشية من قوله في الحق وثباته أن يقنع الواثق بالحق، فقد كان البوطي معروفاً في هذا الوقت معلوماً للناس أنه من أعلم أهل الأرض وأكثرهم فقهـاً. فأمر ابن أبي دؤاد بإلقائه في غيـاهـب السـجـونـ مـباـشـرةـ.

الثبات على الموقف رغم التعذيب!

ظل البوطي في ظلمة السجون لشهور عديدة، ولكنه لم يَلِنْ ولم يُداهِنْ ولم يَتَرَكّص بل كان مثلاً للعالم الرباني، الصابر الصامد الثابت على الحق فشغل نفسه أيام سجنه بكثرة الصلاة والذكر والعبادة والقراءة والتضرع، وتعليم المساجين، وكان اللافت في السجن أنهم كانوا يرسلون إليه من يناظره ليرجع عن الحق فكانوا يستسلمون له ويقولون بقوله ويترون ما هم عليه، مما زاد غضب ابن أبي دؤاد عليه فكان يشدد عليه في سجنه إِيذَاءً وتعذيباً.

من أمارات الورع والإيمان والفقه!

رُوِيَ أن البوطي وهو في السجن كان إذا سمع المؤذن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب الحبس فيقول له السجان: أين تريد؟ فيقول: حيث داعي الله. فيقول له السجان: ارجع عافاك الله. فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أني قد أجبت داعيك فمنعني!! فما هذا الإيمان؟ ما هذا اليقين؟ ما هذا الفقه؟ إنه ثابتٌ وإيمانٌ عجيب.

الثبات على الحق، وتشديد العذاب والإِيذاء!

أدى ثبات الرجل على الحق وعدم خضوعه لما يريد ابن أبي داؤد إلى مما زاد في غضبه وحقده واحتلاله عليه، فأمر بتشديد الأغلال والقيود عليه، فلفوه كله بالحديد، حتى لم يعد قادراً على الحركة إلا بصعوبة كبيرة. فأَثَّرَ ذلك التشديد في نفسية الإمام البوطي تأثيراً كبيراً بسبب أنه منعه من الأنس وحلوة تذوق الإيمان بالصلوة وقيام الليل والعبادات، وعلى الرغم من ذلك لم يتراجع ويخذل الحق فكان الإمام يعاني من صعوبة بالغة في الحركة ودخول الخلاء والتطهر للصلوة.

رسالة الصالحين المصلحين؟

وقد كتب رسالة مؤثرة بسبب عدم استطاعته الصلاة وليس بسبب سجنه أرسلها من محبسه إلى الإمام الذهلي وهو من كبار علماء الحديث في خراسان واصفًا حاله، فكتب له يقول: "يا أبا يحيى قل لإخواني أصحاب الحديث، وطلبة العلم أن يدعوا الله تعالى أن يفك كربتي، فلقد كبلوني بالحديد حتى أني لم أعد أنتظرك وأصلي كما ينبغي، عسى الله أن يفرج عنِي ما أنا فيه بدعائهم". فلما قرأ الإمام الذهلي الرسالة على المجلس بكى وبكوا جميعاً وضجوا له بالدعاء.

موت واستشهاد في سبيل الحق؟

ظل البوطي ثابتاً مؤمناً راضياً بقضاء الله يدعوه الله أن يخلصه من هذا الكرب العظيم بعد أن عجز عن الحركة ودخول الخلاء والصلاحة من كثرة القيود والأغلال وثقلها، وسرعان ما جاء الفرج، من عند رب السموات والأرض، وأخرجه الله - عز وجل - من سجن الدنيا التي لاقى فيها من أهلها الظلم الكبير إلى الراحة الأبدية، إلى جنات عرضها السموات والأرض - فيما نحتسبه عند الله ولا نزكي على الله أحداً. مات الإمام البوطي في محبسه وقيوده وأغلاله، وكانت وصيته أن يدفن في قيوده لا تفك عنه، ليخاصم أعداءه أمام الله تعالى يوم القيمة، نعم، مات البوطي في السجن ولكنه مات عزيزاً متتصراً لله ولدينه وللحق، وعاش خصومه في ذلةٍ وغضب من الله.

- من الدروس التربوية الخالدة

- ألا فلنعلم جميعاً!

1. أن العلم ليس كتاباً فقط يقرأه العالم، ولا شهرةً وسعادة بالأتباع التابعة على غير بصيرة، إنما علمٌ يقترن بعمل يعمل به العلماء الربانيون ليكونوا منارة لعباد الله في ظلمات الجهل والقهر والنفاق فينروا لهم الطريق بالثبات على الحق غير مبالين بضغوط ولا إغراءات.
2. ليس من المذلة في شيء أن يموت صاحب الحق في السجن، بل كل العزة في ثباته على الحق في السجن أو مطارداً من الظالمين، أو مهاجراً إلى الله في أرضه طالما أنه على الحق.
3. بل كل المذلة والخزي والعار أن يموت الإنسان وهو خائن لدينه وأمته والحق الذي كلفه الله باتباعه وإظهاره للناس، وأن يكون عوناً للظالمين.

رحم الله البوطي، ومن سار في طريق الحق، ولم يلين ولم يترخص ولم يداهن أو ينافق، وجمعنا الله به مع سيد الشهداء حمزة ومع نبينا محمد ﷺ والحمد لله رب العالمين.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطَّلَابُ فِي ثَنَائِيَاتٍ قَائِمَةً الدُّرُوسِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ الدُّرُسِ

 1. بَسَّ الْخَلْقَ الْخِيَانَةَ.
 2. أَفْضَلُ الْعُلَمَاءِ هُمُ الْعَامِلُونَ الْمُخْلَصُونَ.
 3. أَفْضَلُ الْجَهَادِ كَلْمَةُ الْحَقِّ فِي وِجْهِ الظَّالِمِينَ.

تدريبات الاستيعاب

1. ما أumarات مكانة البوطي الكبيرة في مصر؟
2. كيف كان يستغل الحكام فتنة "خلق القرآن" في التنكيل بالعلماء المخالفين لآرائهم؟
3. ارجع إلى الموضوع واشرح "ماذا يقصد بهذا العنوان" الفتنة القديمة الجديدة؟
4. فيما قرأت: أعط مثلا على إساءة استخدام صاحب السلطة وظلم الناس؟
5. "يا أبا يعقوب أبقي على نفسك، وقل بالأمر سرّا بيني وبينك، فأنا لا أملك مخالفة ابن أبي دؤاد، وأنت تعلم مكانه من الواثق"
 - أ. من القائل؟ ومن المستمع؟
 - ب. ما الموقف الذي قيلت فيه هذه العبارة؟
 - ت. ما رأيك في تصرف القائل؟
 - ث. وبم رد المستمع؟ ولماذا؟
6. "فاحتار الوالي الذي كان يُحبّ البوطي ويقدّره، ولكن الخبر وصل طاغية بدعة خلق القرآن"
 - أ- لماذا احتار الوالي؟ ومن هو طاغية بدعة خلق القرآن؟
 - ب- كيف تشابهت محنة الإمام "البوطي" مع فتنة الإمام "السرخيسي"- استعن بعملك.
7. أقرأ ثم أجب: "ولكن الإمام البوطي ليس الذي يترخص أو يستخدم (التَّقْيَة) ولا يداهنه في دينه، ولا هو من يترخص لنفسه ويكون سبباً في إفساد دين الناس فهو يعلم دوره كعالم وداعية ومكانته والتوكيل الشرعي له بتبيان الحق في وقته"

- أ- ما المقصود بالثقة؟ وما مضاد يترخص؟
- ب- حدد الصفات التي اتصف بها الإمام البويطي في هذه الفقرة؟
- ت- هل تعلم عالماً من المعاصرين يتشابه مع الإمام البويطي في هذه الصفات؟
8. صفت لنا ملخصاً مشهد القبض على الإمام البويطي، ثم اذكر لنا بمثابة حين قرأته؟
9. إلام لجأ الإمام البويطي "حين اشتد عليه وطأة التعذيب والأغلال"؟ وعلام يدل ذلك؟
10. من السنن الحسنة طلب الدعاء من الصالحين؟ هل هناك أثر نبوي في هذا؟
11. "كان إذا سمع المؤذن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب الحبس فيقول له السجان: أين تريد؟
- أ. من هذا الرجل؟ ولماذا كان يفعل ذلك؟
- ب. بماذا كان يرد الشيخ على الحراس؟
12. وردت في الموضوع بعض الدروس التربوية. لخصها، واذكر أشدتها تأثيراً عليك.
13. تخيل أنك قابلت الأشخاص الآتي أسماؤهم، ماذا تقول لكل منهم:
- أ. الإمام البويطي.
- ب. الإمام الذي كان يحب البويطي ولا يريد إيتائه.

٦- القفال الصغير وطلب العلم كبيراً

التعريف به.

إذا تكلمنا عن القفال فلا بد أن نعرف أن هناك ثلاثة من فقهاء الشافعية كل واحد منهم لقب بالقفال. وأما شخصيتنا فهو القفال الصغير أبو بكر عبد الله بن أحمد المرزوقي الفقيه، فقد ولد سنة 327 هجرية، وتوفي سنة 417 هجرية، عن عمر 90 سنة، بموطنه مدينة مرو^{١4٢} إحدى أشهر مدن دولة تركمانستان الآن). قال عنه تاج الدين السبكي^{١4٣} في طبقات الشافعية: هو الإمام الزاهد الجليل البحر أحد أئمة الدنيا في زمانه.. وهو من أعظم محاسن خُرَاسَان، كان إِمَاماً كَبِيراً، وبحراً عميقاً، غُواصاً على المعاني الدقيقة، نقى القرىحة^{١4٤}، ثاقب الغَهْمَ، عَظِيمُ الْمُحَلِّ، كَبِيرُ الشَّأْنِ، دَقِيقُ النَّظرِ، عَدِيمُ النَّظِيرِ.^{١4٥}.

١4٢ - مَرْوُ أو كما تعرف قدِيماً بِمَرْوُ الْكَبْرِي؛ أو مَرْوُ الشَّاهِجَانَ تَمَيَّزَ لَهَا عَنْ مَرْوَ الرُّوْذُ وَهِيَ الْآنُ عَاصِمَةُ مَنْطَقَةِ مَارِيَ فِي تَرْكِمَانِسْتَانَ.

١4٣ - أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي فقيه شافعى، ومؤرخ عربي وقاضي القضاة في دمشق، انتقل إلى دمشق مع والده الفقيه تقى الدين السبكي وهو صغير فسكنها وعاش حياته وأصبح من أشهر القضاة في دمشق (727-771هـ). توفي به.

١4٤ - القرىحة: مَلَكَةٌ يُسْتَطِيعُ بِهَا ابْتِداَعُ الْكَلَامِ وَإِبْدَاءُ الرَّأْيِ.

١4٥ - عَدِيمُ النَّظِيرِ: لَا مَثِيلُ لَهُ.

القفال وطلب العلم.

هذا العلّامة الكبير الذي لُقب بالشافعي الصغير لكثره علمه، ودقة فهمه وجزالة ألفاظه^{١٤٦}، وقوه حجّته^{١٤٧}، يا ترى متى طلب العلم حتى وصل لهذه الدرجة الكبيرة؟ يقول ياقوت الحموي: "وكان ابتداء استغاله بالفقه على كبر السن، حدثني بعض فقهاء مرو و أن القفال الشاشي (الكبير) صنع قفلًا ومفتاحًا وزنه دانق واحد (حوالى نصف كيلو جرام) فأعجب الناس به جداً وسار ذكره وسارت به الرُّكبان، وبلغ خبره إلى القفال المروزي (الصغير) هذا فصنع قفلًا مع مفتاحه وزنه طسوج (تقريباً 100 جرام) وأراه الناس فاستحسنوه وأقبل عليه البعض، لكن لم يكن له ذكر بين الناس مثل قفل القفال الكبير (كان هذا في آخر حياة القفال الكبير). فقال يوماً بعض من يأنس إليه: ألا ترى كل شيء يفتقر إلى الحظ؟ انظر: عمل الشاشي قفلًا وزنه دانق وطنّت به البلاد، وعملت أنا قفلًا بمقدار ربعه وما ذكرني أحد! فقال له صاحبه: أظن أن الناس ذكروا القفال بسبب قفله؟ لا وإنما ذكروه لعلم صاحبه، فإنما الذكر بالعلم لا بالأفقال! فوّقعت هذه الكلمة من قلبه موقعاً فكانت سبباً أن يطلب العلم ويصل لهذه الدرجة العلمية الكبيرة.

فما أن سمع صاحبنا القفال المروзи هذه الكلمة الطيبة من هذا الرجل حتى هبّ من ساعته طلب العلم وكأنه تمثّل قول رسولنا - صلّى الله عليه وسلم - في حديث أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ، وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمَلَةُ فِي جُحُرِهَا، وَحَتَّى الْحَوْتَ، لِيُصَلُّوْنَ عَلَى مَعْلِمِ النَّاسِ الْخَيْرِ» أي - يدعوا له

١٤٦ - جزالة الألفاظ: متناتها وعدوبتها في الفم ولذاذتها في السمع.

١٤٧ - الحجّة: الدليل والبرهان. ج: حجج.

ويستغفرون لـ «معلم الناس الخير» بسبب الخير الذي علّمه للناس. فانظر إلى التغيير الكوني الهائل لهذا الذي يُعلم الناس الخير، كل المخلوقات وقبلهم الله -عز وجل- والملائكة يدعون لهم.

وكأنه تمثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة: «الدُّنْيَا ملعونٌ ما فيها، إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَّهُ، أَوْ عَالَمًا، أَوْ مَتَعْلَمًا». وحديث أبي هريرة أيضاً: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ». وقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «أُغْدُو عَالَمًا أَوْ مَتَعْلَمًا وَلَا تَغْدُو إِمَّاعَةً بَيْنَ ذَلِكَ» إِمَّاعَةً أي إنسان ليس له رأي، لا يتعلم ولا يعلم، ويتعجب كل ما يقال له بدون تحققٍ أو نظرٍ أو تدقيق.

ولنا معه وقفه!

من المهم جداً أن الإنسان يحافظ على لسانه وكلامه فُرُبٌ كلمة طيبة جعلت من سمعها عالماً كبيراً، أو حاكماً أو أميراً، وبالتالي سيكون لقائهما نصيب من هذا الخير ومن هذا الأجر، وعلى النقيس رب كلمة سيئة جعلت سمعها أكبر عدوًّا للإسلام والمبادئ والقيم والأخلاق، ومن ثم يكون على قائهما كفلٌ من إثم سمعها.

نصيحة المعلم ونتيجة الأخذ بها.

ومما لا ينساه إمامنا القفال أنه ذات يوم قال له أحد أشياخه ناصحاً بعد أن تهكم أحد الناس على علمه وعمله. يا أبو بكر: لا يصدّنك هذا عن الاستغال بالعلم، فإنك إذا لازمت الحفظ وأكثر من الاستغال به صار لك عادة، فجِدْ واجتهاد ولا زِم الاستغال بالعلم. فأخذ أبو بكر القفال الصغير بهذه الوصية ووصل إلى أن صار عالِم زمانه وفريداً عصره، حتى كان منه ما كان حتى قيل

عاش ثمانين سنة أربعين جاهلا وأربعين عالما، وقال أبو المظفر السمعاني: عاش تسعين سنة ومات سنة 417 هـ.

القفال وبداية طلب العلم

وعن بدايته في العلم يقول الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدَ الْجُوينِيُّ (والد الجويني إمام الحرمين): سمعت القفال يقول ابتدأت التَّعْلُمُ وَأَنَا لَا أُفُرِقُ بَيْنَ اخْتَصَرَتْ وَاخْتَصَرْتُ. قَالَ ابْنُ الصَّلَاحَ أَظُنَّ أَنَّهُ أَرَادَ بِهَذَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَدْرِي مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مَا يَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ ضَمَّ تَاءِ الضَّمِيرِ وَفَتْحَهَا! وَهُنَا نَقُولُ لِكُلِّ طَالِبٍ عِلْمًا، وَكُلِّ مَنْ يَقُولُ فَاتَنِي قَطَارُ الْطَّلَبِ لِكَبِيرِ سِنِّيِّ، أَوْ لَانْشَغَالِي بِأَعْمَالِي الْحَيَاةِ، وَكُلِّ مَنْ يَقُولُ أَنَّهُ سَيِّئُ الْحَفْظُ وَذَاكِرِي ضَعِيفَةُ، لَا أَسْتَطِعُ الْحَفْظَ وَمِنْ ثُمَّ الْأَفْضَلُ لِي أَنْ أَتَرَكَ طَلَبَ الْعِلْمِ. أَقُولُ لِنَفْسِي وَلِكُلِّمَاقِرُوا سِيرَةِ الْقَفَالِ الصَّغِيرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَمَّةِ كَابِنِ حَزْمٍ وَغَيْرِهِ، وَسَأَذْكُرُ جُزْءاً مِنْ حَيَاةِ الْقَفَالِ وَمَا قَالَهُ الْعُلَمَاءُ الْكَبَارُ عَنْهُ.

قالوا عن القفال الصغير

- وصف ابن خلكان¹⁴⁸ في كتابه (وفيات الأعيان) القفال المروزي قائلاً: (كان وحيد زمانه فقهأً وحفظأً وورعاً وزهدأً، وله في مذهب الإمام الشافعي من الآثار ما ليس لغيره من أبناء عصره، وتخاريجه كلها جيدة وإلزاماته لازمة).

148 - قاضي القضاة شمس الدين بن خلّكان هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان يكنى «أبا العباس» (608هـ - 661هـ) مؤرخ وقاض وأديب يعد من أعلام مدينة دمشق، وهو صاحب كتاب وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان وهو أشهر كتب التراجم العربية، ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً.

- قال الفقيه ناصر بن الحسين العمري^{١٤٩} (القفال من كبار العلماء، ومن الزهاد^{١٤٩}، ولم يكن في زمان أبي بكر القفال أفقه منه ولا يكون بعده مثله، وكنا نقول: إنَّه ملَكٌ في صورة إنسان).

- قال أبو بكر السمعاني في "أماليه": وحيد زمانه فِقْهًا وَحِفْظًا وَوَرَّاً وُزُهداً، وله في المذهب من الآثار ما ليس لغيره من أهل عصره. وطريقته المهدبة في مذهب الشافعي التي حملها عنه أصحابه أمن طريقة وأكثرها تحقيقاً.

- وحكى القاضي حسين بن محمد عن القفال أستاذه أنَّه كان في كثير من الأوقات في الدرس كثير البكاء. وكان يرفع رأسه ويقول: ما أغفلنا عمَّا يُراد بنا.

- لم يترك صنعته حتى بعد أن صار من أكابر العلماء، ولهذا كان لا يأخذ شيئاً من ديوان السلطان (محمود الغزني): احتسب بعض الفقهاء المختلفين إلى القفال على بعض أتباع الأمير والي مَرْو، فرفع الأمير ذلك إلى محمود بن سُبُكتكين فقال: أيأخذ القفال شيئاً من ديواننا؟ قال: لا. قال: فهل يتلبس بشيءٍ من الأوقاف؟ قال: لا. وإنما يأكل من صنعته قال: فإن الاحتساب لهم سائعٌ. دعهم.

- وحكى القاضي حسين - رَحْمَهُ اللَّهُ - بعضًا من ورمه وحكمته قال: كنت عند القفال، فأتاه رجل قروي وشكى إليه أن حماره أخذه بعض أصحاب السلطان، فقال له القفال: اذهب فاغسل، وادخل المسجد، وصل ركعتين، وسائل الله تعالى أن يرد عليك حمارك، فأعاد عليه القرمي كلامه، فأعاد عليه القفال، فذهب القرمي فاغسل، ودخل المسجد وصلى، وكان القفال قد

١٤٩ - الزهد: ترك ما في الدنيا ابتغاء ما عند الله وأن يكون المرء بما عند الله أرجى منه مما هو في يده.

بعث من يرد حِماره، فلَمَّا فرغ من صَلاتِه ردُّ الْحِمار، فلَمَّا رَأَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ خَرَجَ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ردَ عَلَيَّ حِمارِي، فلَمَّا انْصَرَفَ سُئِلَ الْقَفَالُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرَدْتُ أَنْ أَحْفَظَ عَلَيْهِ دِينَهُ كَيْ يَحْمِدَ اللَّهَ تَعَالَى.

- قال تاج الدين السبكي: كان القفال المروزي هذا من أعظم محسن خراسان، إماماً كبيراً، وبحراً عميقاً، غواصاً على المعاني الدقيقة، نقى القرىحة ثاقب الفهم عظيم الم محل كبير الشأن دقيق النظر عديم النظير فارساً لا يُشَقْ غباره¹⁵⁰ ولا تُلْحِقْ آثارُه بطلًا¹⁵¹ لا يصطلي له بنار أسدًا ما بين يديه لواقف إلا الفرار¹⁵².

- اشتغل عليه خلق كثير وانتفعوا به، منهم الشيخ أبو علي السنجي (فقيه العصر) والقاضي حسين بن محمد (حرب المذهب) (هذا هما أجيال تلامذة الشيخ) والشيخ عبد الله أبو محمد الجوني والد إمام الحرمين (أبي المعالي عبد الملك الجوني) وغيرهم، وكل واحد من هؤلاء صار إماماً يشار إليه، ولهم التصانيف النافعة ونشروا علمه في البلاد، وأخذه عنهم أئمة كبار أيضاً. قال السبكي: فظهرت بركته على مختلفيه). وتفقه عليه جماعة، وعاش تسعين سنة كانت حافلة بالعطاء والعلم والتعليم، وتوفي بسجستان.

فوائد من حياة القفال.

إن ابتداء طلب العلم ليس له سنٌّ معين فمهما كبر سنك لا تستحي ولا تخجل من نفسك، وهذا هو القفال وقد بلغ الثلاثين من عمره، وصار - كما قال عنه العلماء - وحيد زمانه فقهًا وحفظًا وزهدًا، وكان معتمد المذهب في

150 - لَا يُشَقْ لَهُ عَبَازٌ: لَا مَيِّلَ لَهُ، مِنَ الصَّعِيبِ التَّقْوُفُ عَلَيْهِ.

151 - يقصد أن علمه صحيح ثابت أبد الدهر.

152 - يقصد قدرته على محاججة الناس وغلبتهم.

بلاده، وله مؤلفات كثيرة وتخاريج جيدة، حتى أنه إذا أطلق اسم القفال في كتب الفقه فهو المقصود.

وكان القفال الصغير لا يعلم ولا يعرف شيء في حياته إلا الأقوال، ولم يكن له أي علاقة بعلوم الشريعة ولا بعلوم الفقه ولا غير ذلك من علوم بالدين كغيره ممن هو مسلم عادي لا يعرف من الدين إلا ما يقوم به من الأعمال من العبادات والأركان الطبيعية العادية، ولم يكن متخصصاً في علوم الشريعة، لكنه عَلَتْ هَمَّته نحو قمة العلم، وسَمَّتْ نفسه إلى المعالي، فوصل إلى القمة في العلم حتى قالوا عنه أنه وحيد زمانه في الفقه.

كما كان من الممكن للقفال الصغير أن يكون كغيره من عوام الناس، ولسان حاله ومقاله يقول: "أنا كُبُرت وصار عمري ثلاثين أو أربعين سنة وأنا لا أحسِّن إلا صناعة الأقوال ولا أعرف شيئاً عن العلوم" ومن ثم يبقى بقية عمره على حالته هذه، ولا أحد يسمع عنه ولا يعرفه الناس، ويموت أجراه وذِكره بمותו، كما يموت الكثير والكثير من الناس، لكنه أبي إلا أن يبقى أثره ولا ينقطع بموته أجراه ويكتنف الناس بعلمه، وهذا كان رحمة الله، فغيّر مسار حياته بعد هذه السنّ وتوجه إلى طريق العلم والرّفعة في الدنيا والآخرة، وكان له ما أراد في دنياه ونحسب أن سيكون له عند الله الأجر العظيم والثواب الجزييل في الآخرة جزاء ما قدّم من خير للإسلام والمسلمين. ولذا أقول لكل من كانت بدايته كبداية القفال ما المانع أن تغيير مسار حياتك حتى تكون نهايتك كنهاية القفال؛ والعمّر ما زال أمامك طويلاً، فقط اعزِّم وتوكل على الله واستعن بالله ولا تعجز.

ويجب أن نعلم بل ونؤمن أن تغيير الإنسان من مسار حياته بقرارٍ معين - طبعاً فيما يعود بالنفع عليه ودينه وأمته - هذا التغيير لا يرتبط بسنٍ معين أو بظروف جيدة، بل يجب على الإنسان أن يبدأ متى رأى ذلك مناسباً

له بعد استخارة واستشارة مَن يثق فيهم من أهل الفضل والصلاح، ولبيذكر دائمًا أن الله لا يضيع أجر مَن أحسن عملاً.

ولا داعي أبداً لِإنسانٍ إكمال مسيرةه العلمية أو العملية في طريق هو لا ترحب فيه، أو لا يستطيع النبوغ والإبداع فيه، أو حتى لا يجد نفسه فيه - بشرط أن يكون متيقناً أو غلب على ظنه هذا - بعد الأخذ بالأسباب وإفراط الجهد فيما هو عليه قبل تغيير مساره، وهذا ما حدث مع القفال رحمه الله.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطَّلَّابُ فِي ثُنَائِيَّاتٍ قَائِمَةً الدُّرُوسِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنِ الدَّرْسِ

 1. أطلب العلم مهما كنت كبيراً.
 2. يمكن لكلمة خير واحدة أن تغير حياة إنسان إلى الأفضل، والعكس صحيح.
 3. نصيحة المعلم في العلم والخير قد تخرج عالماً أو قائداً أو شاباً صالحًا.

أسئلة للاستيعاب

1. "إنما الذكر بالعلم لا بالأقوال"
 - أ- من قائل العبارة؟ ولمن قيلت؟
 - ب- ما المناسبة التي قيلت فيها هذه العبارة.
 - ت- ما رأيك أنت في هذه العبارة. وضح.
2. كم من أحاديث النبي ﷺ التي ذكرت في هذا الموضوع؟ اذكرها.
3. رب كلمة غيرت حياة إنسان، بل أمّة. كيف تدلّل على صدق هذه العبارة؟
4. ما النصيحة التي نصحها المعلم للشيخ القفال؟ وهل أخذ بها؟
5. وكيف كانت نتيجة الأخذ بها في حياته؟
6. "سمعت القفال يقول ابتدأت التَّعْلُمَ وَأَنَا لَا أُفُرِّقُ بَيْنَ اخْتَصَرْتُ" من قائل العبارة؟ وماذا تعني؟
- ج- ما رأيك في أن يبدأ الإنسان رحلة علمه صغيراً؟
- ح- ما رأيك في أن يبدأ الإنسان رحلة علمه كبيراً؟
- خ- ماذا نتعلم نحن من بداية الشيخ القفال رحلة علمه وهو كبير؟
7. قيل عن القفال الكثير من العبارات والأقوال: ما التي أعجبتك فيها؟ ولماذا؟
8. ارجع إلى الموضوع واشرح العبارات التي وردت على ألسنة العلماء:
9. لا بد للإنسان أن يحترف عملاً حتى مع الاشتغال بالعلم.
10. دلل على صدق هذه العبارة من سير الأنبياء والصالحين.

11. دلل على بعض أمارات ورع الإمام "القفال".
12. اذكر ما قاله كل من الأئمة (ناصر بن الحسين العُمَريُّ، وأبو بَكْر السّمعانيُّ في "أماليه، والقاضي حسين بن محمد) عن القفال.
13. ذكرت في هذا الموضوع الكثير من الفوائد التي يمكن أن تنفع الإنسان. برأيك ما أهم هذه الفوائد التي استفدت منها أنت؟ ولم اخترتها دون غيرها.

7- سلجوقيون وقرار الإسلام

التعريف به.

هو قائد قبيلة من قبائل الغز الأتراك ومؤسس نواة الدولة السلجوقية العظيمة. وكان له من الأبناء أربعة، هم: ميكائيل ويونس وموسى وأرسلان. ومن المعروف أن تسمية «السلجقة» أطلقت على جماعةٍ من الترك المُنحدرين من قبيلة «قنق» الغرية، المتممرين إلى جدٍّ هو سلجوقيون بن دُقاق المعروف بـ«تيمور يلغ» أي «ذى القوس الحديد».

جهاد سلجوقي وأبناؤه في سبيل الإسلام.

تعتبر قبيلة قنق من أوائل القبائل الغزية التي اعتنقت الإسلام، وقد حارب سلجوقي وقبيلته قبائل الترك الوثنية وأزال سيطرتها على سكان وادي نهر سبيحون¹⁵³. وبعد وفاة سلجوقي بن دُقاق ورث أولاده الحكم وقد اتبعوا سياسات والدهم في محاربة كفار الأتراك وحموا سكان المسلمين من ظلمهم. وقد زادت قوة دولتهم وزادت رقعة الأرضي التي يهيمنون عليها ونتيجة لذلك قد كسبوا احترام الحكام المسلمين لهم. وقد حارب أحد أبنائه وهو ميكائيل بن سجلوق بعض من بلاد كفار الترك وانتصر في كثير من حروبهم حتى وقع شهيداً في سبيل الله. وقد قاد من بعده ابنه طغرل بك السلجقة وسيطر على مناطق أكثر حتى اتصل بالخلافة العباسية في بغداد

153 - نهر سبيحون هو أحد أنهار وسط آسيا وأحد أكبر أنهار في أوزبكستان. يبلغ طول نهر سبيحون من منبعه إلى مصبّه 2700 كيلومتر، يجري خلالها عبر ثلاث جمهوريات إسلامية، وهي: قرغيزستان، ثم أوزبكستان، ثم كازاخستان. ينبع هذا النهر من مرتفعات الشمالية في جمهورية قرغيزيا.

وكانَت تلك أول عهد للسلاجقة الأتراك في المشرق العربي، ولذلك تعتبر بعض المصادر طغرل بك ابن ميكائيل (حفيد سُلْجُوق) هو المؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة.

سلجوقي بن دقاد والجهاد بعد الثمانين!!

لنُنْهَى لحديثنا عن هذا الرجل العظيم (سلجوقي بن دقاد) نجد أنه رجل بدأ حياته الحقيقية بعد أن بلغ الثمانين من عمره، وهو السنّ الذي من الممكن أن يتخيّل أي إنسان أنه لا فائدة من أي عمل له ولا يفكّر بأي شيء ينفعه أو ينفع من بعده، وأنه قد أدى ما عليه، ومن ثم فعليه فقط أن يستعد للموت! هذا على أفضل أحواله إن كان ممن يفكرون في الآخرة!

إلا أن بطلنا قد أسس في التاريخ الإسلامي دولة للإسلام عظيمة حكمت المسلمين حوالي مائتين وسبعين سنة؛ أي قرابة الثلاث قرون، وكانت على مساحاتٍ واسعةٍ ضخمة، من حدود الصين إلى الشام، بما فيها آسيا الصغرى؛ مساحات من الأرض كبيرة هائلة ودولة متaramية الأطراف راسخة، كل هذه الأراضي الذي أسسها ووضع بذرتها هو هذا العملاق العظيم (سلجوقي بن الدقاد) وعمره أكثر من ثمانين سنة أي في أواخر عمره، وقبل ذلك وفي أوائل عمره كان أحد قادة الجيش في دولة الترك الوثنية كانت على الديانة البوذية¹⁵⁴ وغيرها من الديانات الوضعية المنتشرة في غرب الصين - آنذاك - في غرب الصين.

154 - البوذية هي ديانة دارمية وتعتبر من الديانات الإنسانية الوضعية الرئيسية في العالم، حيث تعتبر رابع أكبر ديانة في العالم بعد المسيحية والإسلام والهندوسية. ويصل تعداد أتباعها إلى أكثر من 520 مليون نسمة، أي أكثر من 7٪ من سكان العالم.

مفارة.. أصحاب الثمانين في أيامنا!!

ومن المفارقات العجيبة أننا لو نظرنا الآن في زماننا نجد أن البعض في مثل هذه السنِّ المتأخرة، ونظرًا لما يجدونه من الفراغ الكبير في أو قاتهم بعد أن كان قبل ذلك عنده من العمل الكثير، نجده ربما يدخل بعضهم أحيانًا في حالة من الاكتتاب لأنَّه كان في وظيفة، والآن خرج على المعاش¹⁵⁵ مثلاً أو ترك العمل، وهذا لأسف لوجود وقت طويل عنده وهذا الوقت ضائع، فماذا يفعل لمَّا هذا الفراغ الذي عنده؟ فهو يقضى أغلب وقته على المقهى في ألعاب لا تعود عليهم ولا على مجتمعه بالنفع، في حين أنَّ الأصل عند كبير السنِّ هذا أنَّ عنده من الأعمال الكثير والكثير فيما ينفعه وأسرته ومجتمعه، بل عنده فرصة كبيرة للاستفادة من بقية عمره وهو مقبل على ربه.

الأحقاد آفة كل الأزمنة! وقد يأتي الخير من الشر.

كان سلجوقي القائد الأكبر لجيش الدولة السلجوقية، وذات يوم حدثت فتنَة في بلاط الملكِ وُشِّيَ به عنده، ورأى أنه إنْ بقي فإنَّ الملك سيقتله فخاف على نفسه وهرب بعائلته التي كانت عبارة عن مائة فارس بزوجاتهم وأطفالهم وأخذ معهم كلَّ ما يملكون من شيءٍ وغيرها، وانطلق ناحية الغرب خارج حدود الصين وببلاد الترك التابعة لها، وكان عمره وقتئذ سبعة وستين سنة، في سنة 359هـ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، حتى وصل إلى مدينة من المدن الكبرى اسمها جند، - الآن في دولة كازاخستان -؛ فاستقر بها وكان هو وعائلته على الديانة البوذية!

155 - المقصود في بلادنا بلغ سن التقاعد وصار يحصل على المرتب الذي يتلقاه الفرد بعد أن قضى مدة معينة في خدمة الحكومة عند انقطاعه عن العمل.

استقر في مدينة جند هذه ولحسن الطالع كانت الدولة التي كان يجاورها دولة مسلمة عظيمة هي الدولة السامانية^{١٥٦}، وهي من الدول العظيمة التي لها أثر كبير في التاريخ الإنساني والتاريخ الإسلامي، وكانت دولة إسلامية مهتمة بالعلوم العسكرية والعلوم الحياتية مثل اهتمامها بعلوم الشريعة وعلوم الحضارة وال عمران، وغيرها من النواحي التي تجعلها دولة عظيمة، كما كانت الدولة السامانية حرية على إيصال الدعوة الإسلامية إلى الناس، فكان الدعاة يتحركون مثلما تحرك الجيوش والقادة والجنود.

البحث عن الحقيقة ودخول الإسلام.

بدأ سلجوق يسأل عن دين هذه الدولة المجاورة - الدولة السامانية - فقدف الله في قلبه حب الإسلام فأعجبه؛ فقرر ترك البوذية واعتناق الإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، وعمره آنذاك ثلاثة وثمانون سنة، وهو أول يوم له في الإسلام، وبإسلامه أسلمت قبيلته، وكان ذلك في سنة 375 هـ. وبعد إسلامه بسبعين سنة (وعلمه 90 سنة)، كان قائداً في الدولة السامانية مناصراً للإسلام ومدافعاً عن قضيائاه، وسبحان الله كان هذا في أواخر أيامها، حيث سقطت الدولة السامانية سنة 389 هـ. ولما سقطت تنازع الناس ملوكها، وكان سلجوق بن دفاق من أولئك الذين اجتهدوا في إقامة دولته والتي سميت بعد ذلك باسمه.

١٥٦ دولة إسلامية سنية امتدت منذ عام 819 م وحتى 999 م. تمركزت الدولة في خراسان الكبرى وبلاد ما وراء النهر، وشملت الدولة في أقصى اتساع لها ما يُعرف اليوم باسم أفغانستان، وأجزاء واسعة من إيران، وطاجيكستان، وتركمانستان، وأوزبكستان، وقيرغيزستان، وأجزاء من كازاخستان، وباكستان، واتخذوا سمرقند ثانية بخارى عاصمة لهم.

خياركم أطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا!

وكاننا نرى في هذا الرجل العظيم سلجوقي بن دقاق قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث عندما سُئلَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: "مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ"، وكذلك قوله في رواية أخرى: "خياركم أطلكم أعماراً وأحسنكم أعمالاً". لذا علينا جميعاً الشباب أو كبار السن أن نأخذ العبرة من هذه الشخصية العظيمة، فمع بَيْرِ سنِهِ إِلَّا أَنْ أقامَ اللَّهُ بِهِ دُولَةَ حَمْتَ الْإِسْلَامَ وَاسْتَمْرَتْ حَوْالَيْ ثَلَاثَةِ قَرْوَنَ.

استثمار الأوقات في أعمال البر والخيرات.

والنصيحة هنا لكتاب السن عليكم بالتزام الطاعات وكثرة العبادات فما زال في العمر متسع، وما زال فيكم القدرة على الطاعة؛ فأنتم قد قلت عندكم الشهوات، وزادت عندكم العزيمة والصبر، والفرصة عندكم ما زالت سانحة، والله قد أعطانا جميعاً برحمته وفضله الأعمال اليssيرة والعبادات السهلة التي لا تحتاج إلى كثير جهد مع الأجر العظيم، كالصلوة وقراءة القرآن والأذكار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإصلاح بين الناس، والمكوث في المسجد وغير ذلك من الأعمال الكثيرة واليسيرة التي يستطيعها أي إنسان.

وعلى أصحاب الخبرات والتجارب أمانة؟

ذلك فإن على أصحاب الخبرات والوظائف والأعمال أمانةً ودوراً عظيماً يفيدبني قومهم من المسلمين: العالم أو الشیخ أو المعلم أو الطیب أو المهندس أو التاجر أو المحامي أو العامل أو أي مهنة أخرى، فعليهم أن یفیدوا مجتمعاتهم من نتاج هذه الأعمال والمهن، ویورثوا للأجيال القادمة

خبراتهم فيها بل وخبراتهم في الحياة بصفة عامّة، تلك التي اكتسبوها على مدار أعمارهم الطويلة؛ ولهم الأجر الجزيل من الله.

وأنت.. أيها الشاب الحبيب!

اجتهد أن تحفظ القرآن أو شيء منه فلأن تُقبض وأنت تطلب العلم أو تحفظ القرآن أفضل من أن تموت وأنت على غير هذا، فكم من كبار السنّ وكباره حفظوا القرآن وتعلموا الكثير وهم في سنٍ متأخرة. واجتهد أن يكون لك نصيبٌ من الأنشطة الاجتماعية كالتطوع في الأعمال الخيرية، ودور رعاية الأيتام أو دور المسنين أو العمل مع فريق لمحو الأمية في محيطك الذي تعيش فيه، أو غير ذلك من النشاطات الاجتماعية التي لا تحتاج لقوّة وجهد كبير ويستطيعها الكثير من كبار السن.

وأخيراً: العمر سيتهي لكن المهم جدًا أن يقضمك الله وأنت في طاعته، وأنت تعمل فيما يرضي الله.

وبعد طول عمر في خدمة الإسلام

مات سلجوقي بن دقاق سنة ٣٩٩ هـ ثلاثةمائة عن عمر ١٢٧ سنة، أي أن كل الذي عاشه في الإسلام فقط ٢٤ سنة، أي أقل من ربع عمره مع أنه عندما دخل الإسلام كان عمره ٣٨ سنة، فمن كان يتخيّل أنه في هذا العمر يمكن أن يغيّر حياته ودينه ويقيم الله به دولة عظمى؟ في هذا العمر غالباً لا يكون أحد عنده رغبة في التغيير أو في سلوك أمر جديد، لكنه - بعد توفيق الله له - فكر وقدر وقرر أن يدخل في الإسلام وتهيّأت الأسباب لإقامة دولته فلماذا لا يقيّمه، جاهد في سبيل الله حقّ الجهاد فأسس دولة عظيمة.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكُمِلُ الطَّلَابُ فِي ثَنَائِيَاتٍ قَائِمَةً الدُّرُوسِ التَّرْبُوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ الدُّرُسِ

١٦. علينا ان نقرأ في سيرة اجدادنا وعظماء ديننا.

2. الفراغ وعدم العمل آفة خطيرة تقضي على الأمم.
 3. أفضل النعم أن يطول عمر الإنسان ويحسن عمله.

أسئلة للاستيعاب

1. من هو سلجوقي بن دفاق، وكيف كانت نشأته؟
2. تكلم عن رجل في الثمانين من عمره في محيطك.. كيف يقضي عمره؟ وما رأيك؟
3. لو بَلَغَكَ اللَّهُ الثَّمَانِينَ .. ترى ما طموحاتك في هذه السن؟
4. في زماننا يدخل بعضهم أحياناً في حالة من الاكتئاب لأنَّه كان في وظيفة، والآن خرج على المعاش مثلاً أو ترك العمل".
أ. ما رأيك في هذه العبارة؟
ب. هل قابلت أحداً يتصف بهذه الصفات؟
ت. هل قابلت أحداً يتصرف بعكس هذه الصفات؟
5. "وهرب ب الرجال عائلته وزوجاتهم وأطفالهم وأخذ معهم كل ما يملكون من شيءٍ وغيرها"
أ- عمن تتحدث العبارة؟
ب- ولماذا هرب بعائلته؟ وكم كانت سنَّه حين هرب بهم؟
ت- وكم كان عددها آنذاك؟ وإلى أين ذهب بهم؟
ث- وعلام يدل ذلك؟
ج- ماذا نستفيد من هذه العبارة؟
ح- وأين استقرت العائلة؟

6. مستعيناً بمعلمك: اذكر الدروس المستفادة من هذا الحديث
 "يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسَ خَيْرٌ؟ قَالَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ طَالَ عُمُرَهُ
 وَحَسُنَ عَمَلُهُ"، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: "مَنْ طَالَ عُمُرَهُ
 وَسَاءَ عَمَلُهُ"، وكذلك قوله في رواية أخرى: "خِيَارَكُمْ أَطْوَلُكُمْ أَعْمَارًا
 وَأَحْسَنُكُمْ أَعْمَالًا".
7. أين نجد المعاني التالية في الموضوع:
 أ- الأبناء غالباً ما يكونون على طريق آبائهم فهم ذرية بعضها من بعض.
 ب- لا سنَّ للجهاد ولا للعمل في سبيل الله!
 ت- كانت مساحة دولة السلاجقة الإسلامية عظيمة.
8. وردت في الموضوع نصيحة لكتاب السن. فما محتواها؟
9. بم تنسح أنت صغار السن ممن هم في ريعان شبابهم.
10. إذا أردت أن تستشهد بسيرة "سلجوقي بن دقاق" محدثاً بها الشباب،
 فماذا تقول لهم؟
11. تخيل أنك قابلت هذا الرجل العظيم اليوم.
 أ. فماذا ستقول له؟
 ب. وَمَنْ سَتَدْعُوهُ لَهُ؟

8- ابن حزم من الوزارة إلى العلم

التعريف به.

نعيش في هذه الصفحات مع عالم من أهم العلماء الأعلام في تاريخ المسلمين وأكابرهم، ملاً الدنيا وشغل الناس، وهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي؛ ولد (30 رمضان 384هـ). وهو متكلم وأديب وشاعر ونسّابة^{١57} وعالم برجال الحديث وناقد محلل بل وصفه البعض بالفيلسوف، كما عُدَّ من أوائل من قال بكروية الأرض.

ابن حزم المؤسس الثاني للمذهب الظاهري.

ابن حزم واحدٌ من أكبر علماء الأندلس، وأكبر علماء الإسلام تصنيفًا وتأليفاً بعد الطبرى، وهو إمام حافظ، فقيه ظاهري^{١58}، ومجدد القول به، بل محىي المذهب بعد زواله في الشرق. ويعد المؤسس الثاني للمذهب الظاهري وناصره وناشره بعد العالم الكبير داود الظاهري، وقد سار على طريقته ونهجه الإمام ابن حزم غير أنه أضاف إلى المذهب وعدّل فيه وعليه، حتى صار أهل الظاهر ينسبون المذهب إلى ابن حزم أكثر من داود الظاهري!

١57 - عالم بأنساب العرب.

١58 - الظاهيرية مذهب فقهي، وقيل منهج فكري وفقهي، نشأ في بغداد في متتصف القرن الثالث الهجري إمامهم داود بن علي الظاهري ثم تزعمهم وأظهر شأنهم وأمرهم الإمام علي بن حزم الأندلسي.

ومما قيل فيه رحمة الله.

قال ابن العماد الحنبلي في كتابه [شذرات الذهب] عن ابن حزم "نشأ في نعمة سابعة، فزهد بها وكان من صدور الباحثين فقيهاً، حافظاً، يستنبط الأحكام من الكتاب والسنّة بعيداً عن المصناعة، وكان إليه المتنبه في الذكاء والعربية والأداب والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والخشمة والسؤدد والرياسة وكثرة الكتب". والمعنى: أن ابن حزم كانت بداية نشأته غنىً وثراءً حيث أبوه كان وزيراً، وكان له وضعٌ مهيبٌ في الدولة وكان يعيش في قصر كبير جدًا، وهكذا عاش الإمام ابن حزم في كل هذه الرفاهية، في الفترة الأولى من عمره حيث النعمة السابعة والمنصب الكبير والجاه العريض، وقد كان له هو نفسه وزارة بعد أبيه وإن كانت شهور قليلة، لكنه سرعان ما زهد فيها بل وزهد في هذه الحياة المترفة المنعمّة، وانصرف إلى طلب العلم والتأليف.

ويقول "سلطان العلماء" العز بن عبد السلام وهو من كبار العلماء عن ابن حزم "ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل [المحلّي] لابن حزم و[المغني] للشيخ الموفق¹⁵⁹". والمعنى: أن هذين الكتابين لا يوجد في الإسلام مثلهما، [المحلّي] في شرح المجلّي بالحجّ والأثار لابن حزم. و[المحلّي] كتاب له في الفقه، شرحه في كتابه المحلّي. و[المغني] المغني لأن قدامة هو شرح كتاب "مختصر الخرقىي" في الفقه الحنبلي.

وقد قال عنه الإمام الذهبي: "ابن حزم رأس في علوم الإسلام، متبحر في النقل، كان ينهض بعلوم جمّة ويجيد النقل ويحسن النظم والنشر، وفيه دينٌ

¹⁵⁹ - الموفق هو أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الحنبلي، أحد شيوخ الحنابلة ومنظريهم. ولد سنة 541 هـ وتوفي سنة 620 هـ.

وخير، ومقاصده جميلة، ومصنفاته مفيدة، وقد زهد في الرئاسة ولزم منزله مُكِبِّاً على العلم".

وقال عنه ابنه أبو رافع الفضل ابن حزم "جمعت ما كتبه أبي فوجده نحراً من أربعينات مجلد، وتعدّت صفحاتها أكثر من ثمانين ألف ورقة. وكان من أهم صفاتـه شدة ذكائه وكثرة تـواليفه^{١٦٠} مع البـعد الشـديد عن النـفاق والـريـاء فـكان لا يـداهـن أحدـاً مـن الـحكـام ولا يـلاطـف الـعلمـاء أو الـفقـهـاء حتـى قـيل عـنه (لسـان ابن حـزم وـسيـف الـحجـاج شـقيقـان) ولـهـذا جـلب عـلـيـه لـسانـه وـعدـم مـلاطـفة خـصـومـه، جـلب لـه الحـسد والـقطـيعة مع الـعلمـاء والأـمـراء. وـهو مـعدـود مـن الـعلمـاء الأـكـثـر تـأـلـيفـاً في تـارـيخ الإـسـلام: الـالطـبـريـ، وابـن الجـوزـيـ، وـالـسـيـوطـيـ.

ابن حزم وبـداـية طـلب الـعلم

كـانـت بـداـية طـلبـه لـلـعلم غـرـيبة شـديدة الغـرـابة، فـقد بدـأ ابن حـزم -ـرحمـه اللهـ- تـعلـمـه لـلـعـلـوم الشرـعـية وـهـو في العـقـدـ الثـالـثـ من عمرـه، إذـ كانـ عـمـره آنـذاـك ستـةـ وـعـشـرونـ سـنةـ، وـكـانـ قبلـ ذـلـكـ لا يـعـرـفـ أيـ شـيءـ عـنـهـاـ، فـقدـ كانـ حـيـاتـه بـيـنـ الـجـوارـيـ وـالـنسـاءـ في قـصـرـه مـرـفـهـاـ مـنـعـماـ، وـكـانـ أـبـوهـ مشـغـولاـ بـأـمـورـ الدـولـةـ وـأـمـورـ الـوـزـارـةـ التـيـ كـانـ مـتـولـيـهاـ ذـاكـ الـوقـتـ، وـلـمـ تـرـكـ أـبـوهـ الـوـزـارـةـ سـُجـنـ فـتـرةـ طـوـيلـةـ فيـ أـمـورـ سـيـاسـيـةـ، أـيـ أـنـهـ تـرـبـيـ بـ[طـوقـ الـحـمامـةـ] وـهـوـ كـاتـبـ أدـبـيـ يـتـكـلـمـ فـيـهـ عنـ العـشـقـ وـالـحبـ وـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ، ثـمـ حدـثـ لـهـ مـوقـفـ غـيرـ حـيـاتـهـ وـمـسـارـهـ الـعـلـمـيـ، هـذـاـ المـوقـفـ جـعـلـ مـنـهـ عـالـمـاـ كـبـيرـاـ لـأـنـهـ استـفـادـ مـنـهـ وـاغـتنـمـ الـفـرـصـةـ لـصـالـحـهـ وـبـدـأـتـ مـسـيرـتـهـ الـعـلـمـيـ الـشـرـعـيـةـ.

من المحن تأتي المنح!

هذا الموقف الغريب هو أن ابن حزم - رحمه الله - في يوم من الأيام ذهب إلى أحد المساجد ليصلّي صلاة الجنائز في هذا المسجد، ودخل المسجد قبل صلاة العصر، وكان جمع كبير موجود في هذه الجنائز، فدخل المسجد ينتظر الجنائز وجلس ولم يصلّي تحيّة المسجد، فقال له أحد الحضور قُمْ فصل تحيّة المسجد، فقال ابن حزم لا أعرف، فقال له الجالس كيف لا تعرف وأنت في هذه السنّ (وكان عمره 26 سنة) فاستحبى من نفسه وقام فصلّى تحيّة المسجد، ثم انتهوا من الجنائز ورجعوا إلى المسجد وكان ذلك بعد صلاة قبل المغرب، فقام وصلّى ركعتين تحيّة المسجد ظنًا منه أن هذا الوقت ليس وقت نهي عن التنفل فيه، فقال له أحد الجلوس، اجلس لا تنفل فهذا الوقت وقت نهي، فعرف أنه لا يعرف شيئاً من العلوم الشرعية، قال ابن حزم: فانصرفت عن المسجد وقد خَرِيتْ، وأنا لا أستطيع أن أنظر لأحد، ولحقني ما هالت به علىّ نفسي ما الحق من العار والخزي.

وفي موضع آخر يقول عن نفسه: "إنني عندما بلغت السادسة والعشرين من عمري كنت لا أجبر صلاة من الصلوات"؛ بمعنى أنه من الناحية الفقهية والشرعية لا يطمئن لصلاحة من صلواته من حيث كيفيتها وأقوالها وأفعالها، لكن كيف حول أزمته هذه إلى منحة جعلت منه وحيد عصره وفريد دهره علمًا وفقها؟

ابن حزم والمحنة التي صارت منحة!

قد يحدث هذا الموقف المخرج مع أي أحد لكن المهم كيف يتصرف الواحد منا؟ وكيف يحول هذا الموقف المخرج إلى منحة ويأخذ نفسه أخذًا إيجابيًّا؟

خرج ابن حزم من المسجد مخزيًا محرجاً أشد الحرج، وقد لحقه من العار أمام نفسه ما لحقه، وكان تصرفه حكيمًا أشد الحكمة قلماً يستطيعه أحد في مثل موقفه، فهو لم يردد على من نصحوه رداً يغضبهم، أو يتهمهم بالجهل أو يبر لنفسه هذا الخطأ الجسيم الذي لا يقع فيه صغار طلاب العلم، لكنه حول هذا الموقف لحالة إيجابية، وذهب بسرعة لأحد أصدقائه ومعارفه الثقات، وقال له: "أريد أن أتعلم فدلي على من يعلمني" فدلّوه على أحد الفقهاء المالكيّة في بلده، وكان رجلاً من علماء المالكيّة في الأندلس في ذلك الوقت يُقال له ابن دحون^{١٦١} ، فذهب ابن حزم من ساعته لابن دحون فسألته: بأي شيء أبتدئ؟ قال: ابدأ بالموطأ [موطأ مالك]، كما هو حال أهل الأندلس في ذاك الوقت.

البداية بالموطأ^{١٦٢}.

قال رحمة الله "فبدأت به قراءةً عليه من اليوم التالي لذلك اليوم، ومكثت ثلاثة سنوات حتى حفظه" يقول: "فقرأته عليه وقرأه علىي" ووصل في

١٦١ - هو أبو محمد عبد الله بن يحيى بن دحون: الإمام الفقيه أحد الشيوخ المفتين بقرطبة عمرًّا كثيرًا فأخذ عنه الناس، منهم: ابن رزق، ومحمد بن فرج، وأحمد بنقطان وغيرهم. مات سنة 431هـ.

١٦٢ - **الموطأ**: كتاب في الفقه للإمام مالك، وقصته: أن الخليفة أبي جعفر المنصور (ت 158هـ) لجأ إلى الإمام مالك في موسم الحج طالباً منه تأليف كتاب في الفقه يجمع الشتات وينظم التأليف بمعايير علمية حددتها له قائلًا: «يا أبي عبد الله ضع الفقه ودون منه كتاباً وتجنب شدائداً عبد الله بن عمر، ورخص ابن عباس، وشوارد عبد الله بن مسعود، واقتصر إلى أوسط الأمور، وما اجتمع إليه الأئمة والصحابة، لتحمل الناس على علمك، وكتبك، ونبتها في الأمسكار ونعته إليهم ألا يخالفوها». وقد طلب المنصور من الإمام مالك أن يجمع الناس على كتابه، فلم يجبه إلى ذلك، وذلك من تمام علمه واتصافه بالإنصاف.

المذهب المالكي لدرجة كبيرة حتى كان يناظر فيه علماء المالكية. ثم بعد ذلك انتقل من المذهب المالكي إلى المذهب الشافعي حتى بلغ فيه مبلغاً كبيراً، ثم تركه إلى المذهب الظاهري وترك القياس كما هذا المذهب وتمسك به وناظر علماء عصره وغلبهم حتى قيل فيه (سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقان) فما ناظر أحداً إلا غلبه، حتى استَعدُدوا 163 عليه السلطان وطاردوه وأفتووا بحرق كتبه، وانتهى به الأمر إلى أن صار ابن حزم صاحب أكبر تصانيف في تاريخ الإسلام بعد والطبرى¹⁶⁴ وابن الجوزي¹⁶⁵ والسيوطى¹⁶⁶ وافق أقرانه، وناظر اليهود والنصارى فيما استطاعوا أن يصمدوا له وصار بعد هذا عالم الدنيا ومؤسس المذهب الظاهري.

ابن حزم والدرس المستفاد!

كان من الممكن أن يتأثر - رحمه الله - سلباً ويكمel باقي حياته كأي شخصٍ عادي لا يعبأ به ولا يفيد نفسه، فضلاً عن أن يُفيد غيره، أو على الأكثـر يعيش حياته كما كانت بدايتها؛ فقط [طوق الحمامـة] أو بعض أشعار الغزل

163 - سعوا في إيقاع عداوة السلطان به.

164 - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر الطبرى، (224هـ - 310هـ)، مفسّر ومؤرّخ وفقـيه، ولقب بـإمام المفسـرين، ولد بأـمل عاصمة إقليم طبرستان. ولم يتزوج.

165 - ابن الجوزـي، هو أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن محمد التـيمي القرشـي. فـقيـه حـنبـلي مـحدث وـمؤـرـخ ولـد بـبغـداد سـنة 510هـ. وـتـوفـي بـها سـنة 597هـ. حـظـي بشـهرـة وـاسـعة، وـمـكانـة كـبـيرـة فيـ الخطـابـة وـالـوعـظـة وـالتـصـنـيفـ، كـمـا بـرـزـ فيـ كـثـيرـ منـ العـلـومـ وـالـفـنـونـ. يـعودـ نـسـبـهـ إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ الصـدـيقـ.

166 - جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين السيوطـي المشـهـور بـاسمـ جـلالـ الدـينـ السـيوـطـيـ، إـمامـ حـافظـ، وـمـفـسـرـ، وـمـؤـرـخـ، وـفـقـيـهـ شـافـعـيـ. ولـدـ سـنة 849هـ. وـتـوفـيـ سـنة 911هـ. لـهـ أـكـثـرـ مـصـنـفـ.

أو غيره، أو بعض النثر والآداب لكنه حتماً لن يكون من العلماء الذين تستفيد منهم الأمة الإسلامية في حياتهم أو بعد مماتهم، لكنه حَوَّلْ أزمه ومحنته التي وقع فيها إلى فرصة إيجابية، كما حَوَّلْ موقفه السلبي إلى موقف إيجابي، وهذا من أروع ما يمكن أن يكون.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطَّلَابُ فِي ثُنَائِيَّاتٍ فَائِمَةَ الدُّرُوسِ التَّرْبُوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنِ الدَّرْسِ
 - 1. الغنى ليس مانعاً عن العلم ولا الاشتغال به.
 - 2. أعداء العلم والخير موجودون في كل مكان، فاستعد بالله منهم، واجتهد وتوكل على الله.
 - 3. اعرف قدراتك جيداً وإمكاناتك واستفد منها في الخير والعلم.

أسئلة للاستيعاب

من هو ابن حزم؟

ما معنى هذه العبارة "ابن حزم شغل الدنيا وملا الناس"؟

1. في الفقرة الثانية كم صفة ذُكرت لابن حزم؟ (ارجع للفقرة).

2. من قائل العبارات التالية:

أ- ما رأيت في كتب الإسلام مثل [المحلّى] لابن حزم و[المغني] للشيخ الموفق.

ب- وكان إليه المتهي في الذكاء والعربية والأدب والشعر مع الصدق والديانة.

ت- جمعت ما كتبه أبي فوجده نحوً من أربعين مائة مجلد، وتعدّت صفحاتها أكثر من ثمانين ألف ورقة.

3. ما المقصود بهذه العبارة "لسان ابن حزم وسيف العجاج شقيقان"؟

4. احٍ لأصدقائك عن الموقف المخزي الذي دفعه للبدء فيأخذ

العلم. وماذا نتعلم منه؟

5. هل حدث مثل هذا الموقف لك أو لأحد من معارفك؟

6. ما الدرس الذي يستفيده طلبة العلم من سيرة ابن حزم؟

7. ماذا يقصد ابن حزم من قوله: "إنني عندما بلغت السادسة والعشرين من عمري كنت لا أجبر صلاة من الصلوات"؟

8. هات من هذا الموضوع ما يدل على إمكانية تحويل المحنـة (المواقف المخزية) إلى منح (نجاح وتفوق).

9. ماذا تعرف عن كتاب الموطأ؟ وما حكاية ابن حزم معه؟

10. ما الدروس المستفادة من قصة ابن حزم؟

٩- الوزير علي بن عيسى والثبات على المبادئ

التعريف به

هو أبو الحسن علي بن عيسى بن الجراح، كان وزيراً للمقتدر بالله والقاهر بالله، ولد سنة 245هـ وسمع كثيراً من علماء عصره، وهو أحد أهم وزراء المسلمين في التاريخ الإسلامي وهو من الوزراء المشهورين كان من طلاب العلم النجباء، سمع الكثير من علماء عصره، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عفيفاً، كثير التلاوة والصيام والصلاحة، يحب أهل العلم والعلماء وكان يكثر مجالستهم، فارسي الأصل. توفي - رحمه الله - سنة 335هـ. بعد أن عاش 90 سنة قضتها فيما يرضي الله.

سيرته الوظيفية المُشرفة.

نشأ الوزير علي بن عيسى كاتباً كأيه، وولى مكة ثم استقدمه المقتدر إلى بغداد سنة 300هـ. فولاه الوزارة، فأصلاح الأحوال وأحسن الإداره وحمدت سيرته. ثم عزله المقتدر سنة 304هـ. وحبسه ونفاه إلى مكة في سنة 311هـ ومنها إلى صنعاء. وأذن له بالعودة إلى مكة سنة 312هـ فعاد. وولى فيها الاطلاع على أعمال مصر والشام، فكان يتزدد إليهما. وأعاده المقتدر إلى الوزارة فرجع إلى بغداد سنة 314هـ وما لبث أن نقم عليه المقتدر فعزله وقبض عليه وحبسه سنة 316هـ. ثم أرجعه لوظيفته وجعل له النظر في الدواوين سنة 318هـ وهكذا كانت حياته ملؤها الأضطراب!

ابن عيسى عملاق في زمن الأقزام.

جاء هذا الوزير في زمان فتن واضطربات عظيمة تجعل الحليم حيراناً، حتى أنه تولى الوزارة ثم عزل عنها مرات عديدة ولم يتغير في سياسته الشرعية وسار دائمًا على فهمه واجتهاده وورعه، ولم يكن يوماً إمّعة، يقول: إن أحسن الناس أحسنتُ، وإن أساء الناس وتغيرت الظروف أسيّر في ركابهم !! تاركاً ما عليه من المبادئ والأخلاق والإسلام !! إلا أنه ظل على حاله أحد النماذج والقدوات الطيبة التي توضح لنا أن الإنسان لا ينبغي أن يتعلّل بالظروف الصعبة التي يعيشها مهما كانت، مع العلم أنه ليس بنبيٍ ولا صحابيٍ ولا من التابعين، لكنه، عرف الحق وسار عليه واجتهد في ذلك قدر استطاعته حتى صار في مصاف العظماء والعلماء الكبار والوزراء الذين ندر أن يوجد الزمان بمثلهم. وكان الرجل أيام وزارته قوياً بين الضعفاء، أميناً بين خونة، عالماً بين جهال، مما جعلهم يخافون منه فيولونه ثم يعزلونه حتى لا يكشف سترهم وسرّهم ومدى ضعفهم وخيانتهم للشعب والدين. وتوفي رحمه الله بيغداد شهر ذي الحجة سنة 334هـ. من كتبه "ديوان رسائل" و"معاني القرآن" و"جامع الدعاء"، وكتاب "الكتاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء".

رحيمٌ في زمن القُسَّاةِ !

كتب الوزير علي بن عيسى بن الجراح إلى سنان بن ثابت رئيس أطباء بغداد: ".. فَكَرْتُ فِي أَمْرِ مَنْ فِي الْحُبُوسِ (السجون)، وأنه لا يخلو مع كثرة عددهم وجفاء أماكنهم أن تناولهم الأمراض؛ فينبغي أن تُفرد لهم أطباء يدخلون إليهم كل يوم، وتُتحمل إليهم الأدوية والأشربة، ويفعلون ذلك في سائر الْحُبُوسِ (السجون) حتى يعالجون من فيها من المرضى". وانظر - هداك الله - كيف تكون مثل هذه الرحمة في قلب هذا الوزير وهو في فترة من

أصعب الفترات التي كان فيها عقوبات من بعض المسؤولين تصل إلى الحرق والقتل وسمْل الأعين ومصادرة الأموال بغير وجه حق وفرض الضرائب الكبيرة، والمكوس التي أثقلت كاهل الشعب وغير ذلك من العقوبات التي لا يتخيلها العقل.

حياته رحمه الله بعد الوزارة.

في أخرىات حياته اعتزل السياسة وكل ما يقربه منها وذهب إلى مكة ليجاور البيت الحرام، ويعيش في كنف الكعبة ويتبع عن الدنيا وما فيها، وفي هذا يُحكى عنه حكايات غريبة في حُسن صلته بالله وإجابة الله لدعائه: "لما نزل مكة وكان هذا في شهر رمضان وكان صائماً، وبعد أن انتهى من العمرة، وكان الجو شديد الحرارة، رجع إلى بيته واستلقى على فراشه، وكان معه أحد غلمانه، فقال الوزير:

- "اللهم إني أشتئي عليك شربة من ماء بارد!"
- فقال له بعض أصحابه: ماذا تقول؟ وبماذا تحلم؟ إن هذا مما لا يتهيأ لها هنا وفي هذا الوقت من الصيف ولا في مثل هذا الحر الشديد!"
- فقال رحمه الله: "نعم أعرف، ولكني استروحت إلى المُنْيِّ" أي هذا شيء أُمناه من الله وأرجوه منه.

يقول غلامه، ثم نام، وما هي إلا لحظات حتى رأينا فوقنا سحابة كبيرة في السماء فأمطرت علينا بمكة، ونزل معها بَرَد، فخُبأت له من هذا البرد - الماء البارد -، وانتظرت حتى وقت الإفطار وذهبت إلى الحرم، فصلينا المغرب فقدمت له ألواناً من الأشربة بالماء البارد، فلما أخذها قلت لعله سيشرب منها لأن فالرجل صائم، فلم يشرب وأخذها وذهب يطوف بها ويُسقي الناس ولم يشرب منها شيئاً، فلما رجع ثانيةً كنت قد خبئت له من الماء البارد، فأراد أن

يأخذها للناس ثانية قبل أن يشرب هو، فأقسمت عليه لتشرينَّ هذا الماء فإني قد جمعته لك، قال فشربه بعد جهد، ثم قال: "كنت أشتته لو كنت تميّنت المغفرة"! فقد استجاب الله دعاءه ورجاءه.

ما قيل عنه رحمة الله!

ذكر عنه المؤرخون والعلماء في كتبهم الكثير والكثير من حُسن السيرة ونقائِ السريرة، وعنِ الطبراني وغيره، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عفيفاً، كثير التلاوة والصيام والصلوة، يحب أهل العلم ويكثر مجالستهم، أصله من الفرس.

وقال الذهبي^{١٦٧} عن فترة وزارته حين تولى هذا الوزير العظيم علي بن عيسى الوزارة لل الخليفة المقتدر عام ٣٠١هـ. "عدل في الرعية، وعفَّ عن المال، وأحسن السياسة، واتقى الله، وأبطل الخمور. وكان صدوقاً، دينياً، خيراً، صالحًا عالماً من خيار الوزراء في تاريخ المسلمين، ومن الصالحين المصليحين العظام. وكان على الحقيقة غنياً شاكراً، ولما نزل به صابراً وعدل في الرعية، وعفَّ عن المال، وأحسن السياسة، واتقى الله، وأبطل الخمور". وعُزل بسبب وشایة عام ٣٠٤ هجرية.

قال ثابت بن سنان ١٦٨ متحدثاً عن ورعيه وصلاحه ودينه: (وَحَدَّثَنِي بَعْدَ عَزْلِهِ مِنَ الْوِزَارَةِ).

١٦٧ - هو شمس الدين الذهبي هو محدث وإمام حافظ. (ولد ٦٧٣هـ. وتوفي سنة ٧٤٩هـ.) جمع بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا، فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالاً، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها.

١٦٨ - أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة طبيب ومؤرخ بغدادي. جمع بين عدد كبير من العلوم

قال: قال لي ابن الفرات بعد صرفي وتوليته: أبطلت الرسوم، وهدمت الارتفاع؟

- فقلت: أيُّ رسم أبْطَلْتُ؟

- قال: المكْس بمكّة.

- فقلت: أهذا وحده أبْطَلَت؟

- قال: قد أبْطَلْتُ ما ارتفاعه في العام خمس مائة ألف دينار، ولم أستكثر هذا القدر في جنب ما حَطَّطْتُه عن أمير المؤمنين من الأوزار!

وقال الصولي^{١٦٩} عنه: "لا أعلم أنه وزَرَ لبني العباس مثله في عفته وزهذه وحفظه للقرآن، وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره، ويقوم ليله، وما رأيت أعرف بالشعر منه، وكان يجلس للمظالم، وينصف الناس، ولم يروا أعفّ بطناً ولساناً وفرجاً منه".

وقال الخطيب البغدادي^{١٧٠}: "كان صدوقاً ديناً فاضلاً عفيفاً في ولايته، محموداً في وزارته، كان كثير البر والمعروف وقراءة القرآن والصلاحة والصيام، يحب أهل العلم، ويكثر مجالستهم ومذاكرتهم، ولم يزل من حداثته معروفاً بالستر والصيانة والصلاح والديانة".

الإنسانية والتطبيقية، فكان مؤرخاً فيلسوفاً وأديباً، كما كان طبيباً وفلكياً ورياضياً، وكانت له بصمات واضحة في تلك العلوم والفنون، بالرغم من أنه لم يحقق قدرًا كبيراً من الشهرة. وتوفي ٣٦٥هـ.

١٦٩ - أبو بكر الصولي محمد بن يحيى بن عبد الله، نسبته إلى جده "صول تكين"، الذي كان وأهله ملوكاً بجرجان، كان أحد العلماء بفنون الأدب، حسن المعرفة بأخبار الملوك وأيام الخلفاء وما ثر الأشراف وطبقات الشعراء. توفي كما يقول ابن النديم مستتراً بالبصرة عام (٣٣٥هـ).

١٧٠ - أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢هـ) مؤرخ عربي. نشأ في ذُرِّيغان، وهي قرية تقع جنوب غرب بغداد..

وقال ابن الأبار^{١٧١}: "كان زاهداً متواضعًا وَزَرَ للمقتدر، ولم يكن يهوى ذلك، بل كان يحب الاعتزال ويقول: وما كنت أحتسب بمقامي في هذا الأمر إلا أنني مجاهد في سبيل الله خوفاً من فتنة لا تبقي ولا تذر".

وقال الصفدي: "كان على الحقيقة غنياً شاكراً صدوقاً خيراً عالماً من خيار الوزراء، وكان كثير البر والمعروف والصلوة والصيام ويجالس العلماء".

فائدة:

إن من ينظر لتاريخ هذا الرجل المُشَرِّف الذي عاصر فترة هي من أسوأ فترات التاريخ الإسلامي، من جميع النواحي، يعلم أنه قد توَرَّ في فترة من أضعف فترات الدولة العباسية، حيث كان وزيراً للمقتدر بالله، والمقتدر بالله هذا أحد خلفاء الدولة العباسية الذين اشتهر عنهم الولع بالترف والمجون والخمور وكثرة الجواري وتحكُّم النساء بالحكم بشكل كبيرٍ ومفرطٍ، حتى سُمِّيت هذه الحقبة بحقيقة سيطرة الترك على الخلافة العباسية. ييد أنه مع كل هذا الضعف إلا أنه كان مثالاً فريداً في كل حكمه وورعه وتقواه نظرًا لما كان حوله من كل هذه المفاسد، ومنه نتعلم أن الإنسان صاحب المبادئ لا يكن إمْعة، بل يثبت على مبادئه وأخلاقه كما كان هذا الوزير علي بن عيسى، وغيره من الرجالات.

والحق نقول: إن سيرة هذا الوزير تدلّ على أنه ممن وطّنوا^{١٧٢} أنفسهم، مع كثرة الفتن والاضطرابات التي صاحبت عصره والتي تجعل الحليم حيراناً،

١٧١ - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله القضايعي المعروف بابن الأبار، ينسب إلى قضايعة بن مالك وهي قبيلة من حمير، وقيل ترجع في نسبها إلى معد بن عدنان، لقب بابن الأبار لأن والده اشتغل بصناعة الإبر وبيعها.

١٧٢ - وطّنوا: أعدوا وهيأوا.

فلم يكن يوماً إِمْعَةٌ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ هُوَ وَإِنْ أَسَاءُوا بِعْهُمْ فِي الْإِسَاءَةِ لِكُنْهِ رَحْمَةِ اللهِ كَانَ مَحْسِنًا عَلَى كُلِّ حَالٍ فَلِمْ يَتَبعِ إِسَاءَةَ الْخَلْفَاءِ وَلَا قَابِلِ السَّيِّئَةِ كَمَا كَانَ أَكْثَرُ أَهْلِ زَمَانِهِ. رَوَى التَّرمِذِيُّ عَنْ حَذِيفَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَا تَكُونُوا إِمْعَةً^{١٧٣}، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمَنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا».

وَهُذَا الْوَزِيرُ عِنْدَمَا وَطَّنَ نَفْسَهُ لِمَ يَكُنْ مَوْقِفًا عَرَضِيًّا لِلحَظَاتِ أَوْ أَيَامًا أَوْ شَهْوَرًا، لَا: بَلْ ظَلَّ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةً، وَإِنْ شَئْتَ فَقلْ ظَلَ حَيَاتِهِ كُلُّهَا مَحَافِظًا عَلَى أَخْلَاقِهِ وَنَقَائِهِ وَمَبَادِئِهِ وَدِينِهِ، فِي زَمْنٍ كُلُّهُ مَفَاسِدٍ وَكُلُّهُ انْحرافَاتٍ فِي أَغْلَبِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ، وَالَّذِي نَسْتَفِيدُهُ مِنْ مَوْاقِفِهِ هَذِهِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الشَّخْصِ أَنْ يَكُونَ ثَابِتًا وَمَحَافِظًا عَلَى أَخْلَاقِهِ مَهْمَا كَانَ الظَّرْفُ؛ وَأَنَّهُ لَا عذرٌ لِكَ إِنْ تَغَيَّرَ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكَ أَنْ تَتَغَيِّرَ مِثْلُهُمْ فِي الْفَسَادِ وَالتَّلُؤُثِ بِأَخْلَاقِ الْمُفْسِدِينِ. وَنَخْتَمُ هُنَا بِكَلِمةِ لِلْفَضِيلِ بْنِ عِيَاضٍ وَهُوَ مِنْ كَبَارِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَزَهَادِهِمْ، قَالَ: "اتَّبِعْ طَرِيقَ الْهَدِيَّ، وَلَا يُضْرِكْ قَلْةَ السَّالِكِينَ، وَإِيَّاكَ وَطَرِيقَ الضَّلَالِّ، وَلَا تَغُرِّ بِكَثْرَةِ الْهَالِكِينَ".

١٧٣ - "الإِمْعَةُ" - بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ - "الإِمَّةُ" هُوَ الشَّخْصُ الَّذِي لَا رَأَيَ لَهُ وَلَا عِزْمٌ؛ فَهُوَ يَتَابِعُ كُلَّ أَحَدٍ عَلَى رَأْيِهِ وَلَا يَبْتَدِعُ عَنْ شَيْءٍ.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكُمِلُ الطَّلَابُ فِي ثَنَائِيَاتٍ قَائِمَةً الدُّرُوسِ التَّرْبَوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ الدُّرُسِ

 1. المؤمن ليس يأழعه، وإنما يحسن مع الناس إن أحسنوا، ويحسن إن هم أساءوا.
 2. الزهد والتواضع من شيم المخلصين حتى وإن كانوا أغنياء.
 3. صاحب الحق لا يخشى إلا الله.

أسئلة للاستيعاب

1. عُرِفَ إلى أصدقائك الوزير علي بن عيسى.
2. في الفقرة الأولى ذكرت بعض الصفات الحميدة للوزير علي بن عيسى. أذكرها.
3. كان الوزير علي بن عيسى عملاً في زمان الأقزام. ما المقصود بهذه العبارة؟
4. كان الوزير علي بن عيسى رحيمًا في زمن القساة. ما المقصود بهذه العبارة؟
5. أقرأ ثم أجب: ورد في الحديث الشريف: "لَا تَكُونُوا إِمَّةً، تَقُولُونَ إِنَّ أَخْسَنَ النَّاسُ أَخْسَنَا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطَّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ أَخْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوهَا".
 - أ- اشرح المقصود بهذه الحديث.
 - ب- ما الدرس المستفاد من هذا الحديث؟
6. "الإنسان صاحب المبادئ لا يكن إمَّة، بل يثبت على مبادئه وأخلاقه"
 - أ. ما المقصود بهذه العبارة؟
 - ب. هل تعرف شخصاً في حياتك يمكن أن ينطبق عليه هذه العبارة؟
 7. هل هناك شخص في بلدك أو محيطك تتشابه سيرته مع هذا الوزير. من هو؟
 8. من قائل العبارات التالية في حق الوزير
 - أ. من خيار الوزراء في تاريخ المسلمين، ومن الصُّلحاء المصلحين العُظماء
 - ب. لا أعلم أنه وَزَّارَ لبني العباس مثله في عفته وزهده وحفظه للقرآن، وعلمه بمعانيه
 9. ما الدروس التربوية المستفادة من سيرة هذا الوزير.

10 - سليمان القانوني.. السلطان المفترى عليه!

التعريف به.

سليمان الأول بن سليم الأول بن بايزيد الثاني بن محمد الفاتح بن مراد الثاني بن محمد الأول بن بايزيد الأول بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان؛ عاشر السلاطين العثمانيين و الخليفة المسلمين الخامس والسبعين، وثاني من حمل لقب «أمير المؤمنين» من آل عثمان. بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت. وصاحب أطول فترة حكم بعد وفاة والده من شوال سنة 926 هـ. حتى وفاته في 974 هـ.

السلطان المفترى عليه!

الحق أن الكثير من أمجاد الدولة العثمانية وفتحاتها تحقق في عهد السلطان العظيم المفترى 174 عليه (سليمان القانوني) الذي ولد في مدينة طرابزون سنة 900 هـ. أي بعد سقوط الأندلس بثلاث سنوات فقط، وكان والده آنذاك والياً على مدينة طرابزون 175، وللأسف الشديد لا يعرف شباب المسلمين عنه إلا التاريخ المشوه 176 والمزور 177 من خلال هذا المسلسل المنحرف المسمى - حرير السلطان، الذي شوه سمعته(!)، مع أن

174 - المفترى عليه: المظلوم المبخوس الحق.

175 - طرابزون أو طَرَبُزُونْ مدينة تركية تقع في شمال شرق تركيا على ساحل البحر الأسود.

176 - شوَّهَتِ الْحَقِيقَةَ: أَعْطَتْ صُورَةً عَنْهَا عَيْرَ مُطَابِقَةٍ لِلْوَاقِعِ.

177 - مُزَوَّرٌ: مَغْشُوشٌ، مُزَيَّفٌ.

هذا السلطان العظيم كان من أعظم إنجازاته التشريعات الإسلامية القانونية التي جعلته يلقب باسم (القانوني)، وكان قد تولى السلطان الخلافة بعد موت والده سليم الأول في سنة 926هـ. وعمره آنذاك 26هـ.

دور الأب المُرَبِّي في حياة سليمان القانوني!

اهتم الأب بتربية ابنه اهتماماً عظيماً من ناحية الأدب والعلم، فنشأ محبًا للعلم محبًا للأدب والعلماء والأدباء والفقهاء، وقد أشتهر منذ شبابه بالجدية وبالوقار 178، وهذا ما كان عليه الأب في تربيته لابنه، حتى أنه سمّاه سليمان تيمّناً 179 بسيدنا سليمان بن داود - عليهما السلام - وأنه يعقد عليه الأمل في أن يملك ابنه سليمان الدنيا كما ملكها سيدنا سليمان النبي عليه السلام، وأن يسير بسيرته الحسنة، وتكون دولته قائمة على العدل والدين كما كان سلفه النبي - عليه السلام - كما ذكر ذلك بعض المؤرخين.

إضاءة!

لا بد أن نعرف أن دور الآباء مهم جداً جداً وذلك لأنهم هم أول وأكثر من يراهم وبالتالي أكثر من يتأثر بهم الأبناء ومن ثم يأخذون منهم - في الغالب - أكثر الأخلاق والطبائع سواء حسنة أو غير حسنة، لذا من الأهمية بمكان انتباه الأسرة لمثل هذه الأمور، ولا بد للأسرة من تهيئة الجو المناسب للأبناء من حيث تشجيعهم وتحفيزهم لأن يكونوا إيجابيين ذاتيين يتطلعون دائمًا لمعالي الأمور، بعيدين عن سفاسفها ما استطاعوا لذلك سبيلاً، وبكل الوسائل الممكنة المتاحة، كما لا يقتصر دور الأسرة على هذا فقط بل لهم

178 - الواقار: الرَّزانة والْحَلْمُ.

179 - تيمّناً: تبرُّكاً واستبشاراً.

دور كبير في اختيار تخصصاتهم حسب ميولهم ورغباتهم بما لا يتنافى مع الأخلاق والآداب العامة والأطر المشروعة المعقولة المتعارف عليها عند ذوي الطبائع السليمة. وننحن في أيامنا هذه في أمس الحاجة لأن نربي عليه أبناءنا وكل من لنا عليهم ولاية تربوية أو تعليمية، فلا بد لكل معلم أو مربي أن يكون عنده هدف، وهو أن يصل بهم لمرضاه الله أولاً، وهذا هو الهدف العام، ثم تأتي الأهداف الخاصة بهم في أمورهم الحياتية، وأن يجعل لهذه الأهداف وسائل للوصول بهم لهذه الأهداف المنشودة فيهم، والمرجوة منهم، ولا بد لهذه الوسائل من مقاييس تقاس بها مدى تحقق الأهداف من عدمها ومدى جدواها عند هؤلاء المستهدفين من هذه العملية التعليمية والتربوية.

من صفات سليمان القانوني الشخصية وإمكاناته

كان السلطان سليمان القانوني شاعرًا له ذوق فني رفيع، وكان مميّزاً حتى في الخط، فكان خطاطاً من الطراز الأول يجيد الكتابة، وكان ملماً بعدة لغات من بينها كان يتكلم العربية بطلاقة، كان بصيراً بالأحجار الكريمة وكانت في ذلك الوقت حرفة الأكابر والعلاء، وكما كان مغرماً بالبناء والتشيد الحضاري حيث ظهر هذا في آثار دولته، وذلك طبعاً بسبب توسيع رقعة الدولة في عهده والغنى الكبير الذي وصلت إليه، فأفاق بمسخاء على المنشآت الكبرى، وشيد المعاقل والحسون - حصون المسلمين - في رودس، في بلجراد، وأنشأ المساجد والصهاريج والقنطر في أنحاء الدولة، خاصة في دمشق ومكة وبغداد، بالإضافة طبعاً إلى ما أنشأه في إسطنبول عاصمتهم والتي كانت بحق من روائع الحضارة والعمارة في زمانه، وأمرها بارز واضح.

وخلودها على مر الزمان، فمن ذهب إلى إسطنبول وشاهد آثار العثمانيين، وأثار سليمان القانوني يجد العجب العجاب.

سبب شهرته بالقانوني!

وأما سبب شهرته بالقانوني واقتران اسمه به، فكان بسبب أنه وضع القوانين التي تنظم حياة الدول الخاضعة له وشعوبها في سلطنته التي هي أكبر دولة في العالم آنذاك، وهذه القوانين التي وضعها سليمان القانوني شاركه فيها شيخ الإسلام في زمانه الإمام المفسر الفقيه أبو السعود أفندي صاحب أعظم تفسير المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) وهو مفتى الدولة العثمانية في عهد القانوني، وكانت هذه القوانين تراعي الظروف الخاصة لكل قطر من أقطار دولته، وحرص أن تتفق جميع القوانين مع الشريعة الإسلامية والقواعد التي تعارف عليها العلماء والناس.

لهذا السبب أطلق لقب (القانوني) على السلطان (سليمان) وقيامه بتدوين هذه القوانين، وهذه القوانين كان أول من وضعها هو السلطان (محمد الفاتح) ثم طورها السلطان (بايزيد الثاني) وكذلك في عهد السلطان (سليم) والد سليمان، ثم جاء القانوني وقام بتطويرها أكثر وأكثر، ووضع أكثر من مائتي قانون، كل قانون ينظم جزأاً من أجزاء الدولة، من أمثلة هذه القوانين الجامعة - قوانين تجارية، قوانين مالية، قوانين جمركية - حوالي مائتي قانون نظمت الشريعة الإسلامية، وحوّلتها إلى أحكام قانونية ودستورية واضحة قابلة للتطبيق، وهذا أمر أساسى لبناء أي حضارة إسلامية حديثة.

فلسفة قوانين الخليفة سليمان القانوني.

لنعرف جميعاً أن السلطان سليمان القانوني لم يضع قوانين فيها مخالفات لأى شيء في الشريعة الإسلامية، كل ما فعله حول الأحكام الشرعية إلى

قوانين للمحاكم استناداً على فتاوى كبار الفقهاء وعلى رأسهم شيخ الإسلام أبو السعود الأفندى^{١٨٠}، على قاعدة شرعية تقول: (إن حكم الحاكم يرفع الخلاف). وظلت هذه القوانين تُطبق ويُعمل بها حتى مطلع القرن التاسع عشر الميلادي - الثالث عشر الهجري - فكان بحق كما سماه الأوروبيون (سليمان الكبير والعظيم).

وقد وصلت القوانين التي وضعها سليمان القانوني ودونها في عهده إلى ثلاثة مجلدات ضمن مجموع كل القوانين العثمانية والتي طُبعت ونشرت في اثنى عشر مجلداً، في مجالات الإدارة، وفي القوانين، وفي العمارة، وفي الحضارة، وفي الفنون، وفي الآداب، وغير ذلك مما تقوم به الدول العظمى، فدولته استلمها وكانت ست ملايين متر مربع وتركها أكثر من 15 مليون متر مربع. ولم يكن عهد سليمان القانوني فقط العهد الذي بلغت فيه الدولة أقصى حدود لها من الاتساع، وإنما هو العهد الذي تمت فيه إدارة أعظم دولة في العالم، بأرقى نظام إداري، ومع كل هذه العظمة إلا أنه كان زاهداً ورعاً تقىً حريصاً على لا يخالف الشريعة في شيء، كيف لا وقد نسخ بيده القرآن ثمان مرات، وهذه النسخ ما زالت موجودةاليوم في مكتبة مسجد السليمانية في إسطنبول.

إنجازات سليمان القانوني في فترة توليه الحكم.

قلنا إن السلطان سليمان تولى الحكم وعمره 26 سنة فقط في عام 926هـ، بعد وفاة أبيه، وفي الفترة الأولى من حكمه نجح نجاحاً باهراً على الرغم من

¹⁸⁰ هو فقيه وقاض مسلم عثماني ولد في نهایات القرن التاسع الهجري، عمل في بداية حياته في التدریس حتى بلغ القضاء، ثم ترقى في القضاء حتى أصبح قاضي العسكرية ويحضر الديوان العثماني، ثم أصبح مفتياً للعاصمة وشيخاً للإسلام.

صغير سنه في بسط هيبة الدولة، وضرب على أيدي الخارجين عليهما، الطامحين إلى الإعلان عن دول خاصة بهم والاستقلال عن الدولة العثمانية الأم وأرادوا بذلك تفريق الأمة الإسلامية، لاعتقادهم أن السلطان صغير السن، وأن هذه هي الفرصة السانحة^{١81} لهم حتى يحققوا أحالمهم في تكوين دولتهم، لكنهم تفاجؤوا بالعزيمة القوية والإرادة الصلبة من هذا السلطان القوي الطموح، والذي لم تلين له قناعة، فقضى عليهم جميعاً واحداً تلو الآخر. وقد زادت مساحة الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني السلطان الشاب حتى شملت أجزاء من القارات الثلاث - أوروبا وأسيا وإفريقيا على النحو التالي:

أولاً: في أوروبا، وفي السنة الأولى من حكمه ٩٢٧هـ سيطر على بلغراد^{١82}، وضم إلى دولته أجزاء من المجر بما فيها عاصمتها بودابست، فجعلها وال مجر ولاية إسلامية عثمانية، وذلك بسبب تمردتهم وعصيائهم، ونقضهم الاتفاقية التي كانت بينهم وبين الدولة العثمانية مما جعل السلطان يتصدى لهم ويضم بладهم للدولة العثمانية بعد معارك طاحنة معهم وانتصاره عليهم انتصاراً ساحقاً.

ثانياً: في آسيا، قام السلطان سليمان بثلاث حملات كبرى ضد الدولة الصفوية الدموية المتطرفة التي بنت المذهب الشيعي بتطرف، وأسسته بقوة ودموية في إيران ولم تكتف بإيران فقط بل حاولت أن تنشره في كل الأمة الإسلامية بقوة السلاح والقتل على المذهب والهوية، وهذا التطرف الذي

181 - فرصة سانحة: مواتية ومتاحة.

182 - بلغراد هي عاصمة صربيا وأكبر مدنها على الإطلاق. تقع المدينة عند نقطة التقائه نهر السائـلـقـانـا والدانوب، حيث يلتقي السهل الپانوـنـي لأوروبا الوسطى بشبه جزيرة البلقان.

قامت عليه الدولة الصفوية، ما زالت آثاره باقية حتى يومنا هذا فما زالت الأمة متمزقة متشرذمة بالطائفية المذهبية بسببها، ولو لا أن قيض الله السلطان سليمان القانوني لانتشر هذا المذهب الفاسد ليس في إيران وحدها بل تعداها لكل الدولة الإسلامية كما كان يطمح حكامها الذين كانت الدموية وكراهية المذهب السُّنِّي في دمائهم، حتى قتلوا جميع علماء السنة وفعلوا بهم الأفاعيل.

كما واجه القانوني المحتل البرتغالي في المحيط الهندي والخليج العربي الذين احتلوا عمان وأجزاء من اليمن وغيرها من بلاد المسلمين وقتلوا سكانها، فتصدت لهم قوات الدولة العثمانية بقيادة (أويس باشا العثماني)، ولو لا قيض الله هذا السلطان العظيم ربما كان البرتغاليون سيطروا على كل الخليج العربي وكثير من الدول التابعة للدولة العثمانية. وقد أدت هذه السياسة إلى الحد من نفوذ البرتغاليين، ليس فقط في الخليج العربي وإنما في كل مياه الشرق الأوسط.

ثالثاً: في قارة إفريقيا، دخلت ليبيا والقسم الأعظم من تونس وأريتريا وجيبوتي والصومال ضمن نفوذ الدولة العثمانية في عهد سليمان القانوني، كما نمت وزادت القوات البحرية العثمانية العسكرية نمواً كبيراً منذ أيام السلطان (بايزيد الثاني) وأصبحت مسؤولة عن حماية مياه البحار التي تطل عليها الدولة العثمانية، وزادت قوتها كثيراً على نحو لم تعهد له من قبل في عهد سليمان، وأشهر القيادات البحرية المعروفة في عهده حتى عند الغرب هو (خير الدين بربروسا) القائد الفذ الذي جعل البحر المتوسط بحراً إسلامياً عثمانياً وهو يُعدّ بحق من أعظم القادة العثمانيين، والذي كان يقود أسطولاً قوياً يهاجم به سواحل إسبانيا والسفن الصليبية في البحر المتوسط.

القانوني والقائد الكبير ببروسا .

للأسف لا يعرف الكثير من شباب المسلمين الآن شيئاً عن هذا القائد العظيم (خير الدين ببروسا وإخوته)، ولا يعرفون فضل مساعدات (السلطان سليمان القانوني)، ومساندته لخير الدين ببروسا، الذي كان يضرب السواحل الإسبانية وأنقذ الله به آلاف المسلمين الأندلسين من محاكم التفتيش الذين كانوا يتعرضون لأبشع أنواع الإبادة بعد سقوط الأندلس ، على يد القساوسة والرهبان والملوك المعروفة بمحاكم التفتيش النصرانية، هذا بعد سقوط الأندلس ، فقام ببروسا بأمر من السلطان القانوني في سنة 935هـ. بسبع رحلات، إلى السواحل الإسبانية نقل فيها أكثر من سبعين ألف مسلم أنقذهم من قبضة محاكم التفتيش الإسبانية تم نقلهم إلى المغرب العربي والمشرق الإسلامي.

وأوكل السلطان سليمان القانوني كذلك إلى خير الدين ببروسا قيادة الحملات البحرية في كل غرب البحر المتوسط، وقد حاولت إسبانيا أن تقضي مراراً على أسطول خير الدين لكن النصر كان حليفاً لخير الدين في كل مرة، وكانت القوات النصرانية تخفق وتُهزم أشد الهزائم، وتتكبد خسائر فادحة، وأقصى الهزائم التي تلقاها الإسبان على يد العثمانيين بقيادة ببروس وخلافة سليمان القانوني معركة (بروزا) في سنة 945هـ. وهي التي قضت فيها القوات الإسلامية العثمانية بقيادة ببروسا على القوات الإسبانية النصرانية

183 - قائد القوات البحرية في الدولة العثمانية. اسمه الأصلي خضر بن يعقوب، وهو أحد أشهر قادة الأسطول العثماني إن لم يكن أشهرهم طرآ، وأحد رموز الجهاد البحري . وتلقب بخير الدين، وعرف في أوروبا ببارباروسا أي ذي اللحية الحمراء.

وأسرت جميع الجنود النصارى، واستولت على كل ما معهم من أسلحة ومؤنٍ وعتاد.

الجوانب الحضارية في حياة القانوني

لو تكلمنا عن الجوانب الحضارية في حياة السلطان القانوني لا نستطيع حصرها لكثرتها وعراقتها وتعد من أهم الجوانب العظيمة في حياته، ومنها على سبيل المثال ظهور أشهر المهندسين المعماريين على مدار التاريخ الإسلامي، مثل المهندس (ستان باشا) الذي اشتراك في الحملات العثمانية واطلع على كثير من الطرز المعمارية حتى استقام له أسلوبه الخاص الفريد، ويعد مسجد سليمان القانوني أو جامع السليمانية في إسطنبول والذي بناه سليمان القانوني سنة 964 هـ.

ومن أشهر الأعمال المعمارية في التاريخ الإسلامي في عهده فن "المنمنمات" ويسمونه "الرسوم العثمانية" الذي وصل في عهده إلى أوج ازدهاره. كما ازدهر فن الرسم والخطوط، وقد لمع في هذا العصر نجم كثير من الخطاطين كان من أعظمهم (حسن أفندي جلبي) الذي كتب خطوط جامع السليمانية، وهي باقية حتى الآن شاهدة على مدى تقدم العمارة والفن والخط الذي تميز به العمارة العثمانية في عهد القانوني، ومن لم ي見 نجمهم كذلك (أحمد بن قرة حصارى) وهو أستاذ حسن أفندي وله مصحف بخطه وهو يعد من روائع الخط العربي والفن الرفيع.

كما اهتم السلطان سليمان القانوني بتوسيعة كبيرة وهامة في بيت الله الحرام في مكة المكرمة، ومهد السلطان سليمان القانوني مهد درب الحاج الشامي، الطريق من الشام إلى الحج الذي سلكه خط سكك حديد الحجاز فيما بعد في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وقامت السلطانة (خرم خاتون) زوجة

السلطان سليمان بياضصال مياه عين زبيدة إلى مكة المكرمة، فأكملت ما بدأته السيدة (زبيدة) وهي زوجة أمير المؤمنين (هارون الرشيد) هي التي أوصلت المياه إلى مكة، فكانت العبادة مصدرًا لتحرّيك الحضارة في الإسلام، والحج كان بالتأكيد مصدرًا رئيسيًّا من محرّكات الحضارة.

كما ظهر العلماء الكبار في جميع العلوم الإسلامية في عهد سليمان القانوني كان في مقدمتهم العلامة (أبو السعود أفندي) صاحب التفسير المعروف باسم (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). والعلامة مصطفى كمال باشا صاحب التصانيف الكثيرة والكبيرة والمتنوعة وهو من شيوخ القاضي المفسر أبو السعود. ومن المعروف في حضارات الدول أن هذه الإضافات العلمية تعتبر الركن الثاني للحضارة، وهي سبب خلود الحضارة جنباً إلى جنب مع البناء العمراني.

الاهتمام بالعلم من سمات الحكام الصالحين!

لم يكن الاهتمام بالبناء والعمان وملامح الحضارة فقط هو ما ميز سليمان القانوني بل نجد الاهتمام الكبير بالناحية العلمية عنده وذلك لعلمه بأن العلم أهم أسباب رفع مكانة أي دولة وأي مجتمع، وقد وقر في ذهنه أن الأمة الإسلامية هي أمة (اقرأ) على الحقيقة، وأن الجهل سبب للفقر والمرض، وهذا الثلاثي أكبر سبب لهدم أي مجتمع أو أي دولة، فما كان من السلطان سليمان القانوني إلا أن قام بما يؤهل المجتمع للقراءة، فأنشأ المكتبة السليمانية، وكانت من أعظم المكتبات وأكبرها تلك التي جمعت الكتب والمخطوطات في زمانها، حيث جمع فيها أكثر من ثمانين ألف مخطوطه لم يحقق الكثير منها حتى الآن، ووضع - رحمه الله - نوافتها الأولى، وليس هذا وفقط، بل أوقف عدداً من المخطوطات على العلماء وطلبة العلم، ونظمها

تنظيمًا رائعاً حتى يتم الاستفادة منها وإعارة الكتب وإرجاعها بطريقة سلسة، وما زالت مخطوطات جامع السليمانية الأُم ومؤسسها ومكتبتها محفوظة في خزانة السليمانية الخاصة، تقدم فهرسها للباحثين إلى اليوم.

جهاد وتضحية رغم السن والمرض!

ومما هو ثابت عنه رحمة الله أنه لم يترك الجهاد في حياته قط، منذ توليه السلطة وحتى موته، وفي أخريات حياته أصابه مرض خطير جعله لا يتحرك إلا بصعوبة بالغة، فكان - رحمة الله - لا يستطيع أن يركب حصانه بنفسه، لكنه حتى يُشمت أعداءه وخصومه، كان يتحاصل على نفسه إظهارًا لقوته أمام أعدائه وخاصة ملوك أوربا، وكان عمره آنذاك 74 سنة أي بلغ من العمر مبلغًا كبيرًا.

وذات معركة مع المجر أعدى أعداء المسلمين آنذاك، وقد أغروا على أحد ثغور الدولة لعلمهم بمرض الخليفة الشديد، وصل الخليفة وهو في سنة 73 عامًا وكان يُحمل في عربة بالجيش المسلم إلى مدينة "ستوار" المجرية، وكانت من أعظم ما شيده المسيحيون من القلاع في العالم في ذلك الوقت، مشحونة بالبارود والمدافع. فحاصرها حصارًا شديداً، وقد نصحه الطيب الخاص بأنه خوفاً عليه لا يمكن له أن يخرج للحرب فهذا المرض (النقرس) الذي بك قد يؤدي إلى موتك، فكان ردّ السلطان على الطيب ردًا خلده التاريخ بقوله: (إني أحب أن أموت غازياً في سبيل الله)!

وبالفعل تم حصار المدينة، وبدأ القتال واشتد النزال، وكان من أصعب الحروب التي واجهها المسلمون بسبب متانة الأسوار، واستبسال جنودها وقوة أسلفهم في القتال، واستمر القتال والحاصر خمسة أشهر كاملة، والفتح صعب، ومما زاد الصعوبة أن المسلمين لم يروا مثل هذا الحصن في كل

فتواهتم، وسلطانهم مريض وقد شعر بدنو أجله، فأخذ يدعوا بإخلاص وبتضرع إلى الله تعالى يقول من حضره سمعه يقول: "يا رب العالمين، افتح على عبادك المسلمين، وانصرهم وأضرم النار على الكفار أعدائهم" واستجابة الله دعاء السلطان، فأصاب أحد مدافن المسلمين خزانة البارود الذي كان داخل الحصن وانفجر الحصن انفجاراً هائلاً من داخل القلعة، وأخذ الانفجار بجزء من الأسوار وتسبب بهدمها، وفوراً هجم المسلمون على القلعة وفتحت القلعة ورفعت الرأية العثمانية على أعلى مكان من القلعة.

ولما وصل خبر الفتح للسلطان سليمان القانوني فرح وحمد الله على هذه النعمة العظيمة، وقال: (الآن طاب الموت) خمس شهور من الحصار، بعدها خرجت روحه إلى بارئها في صفر سنة 974هـ.

السلطان والصندوق والقبر!

أثناء تشيع جنازته وجدوا أن السلطان قد أوصى بوضع صندوق كان محفظاً به ليدفن معه في القبر، فتحير القادة والعلماء وظنوا أن هذا الصندوق مملوء بالكنوز والأموال والجواهر، وأخذوا يتكلمون في جواز تنفيذ وصية السلطان أو عدم جواز ذلك، وقالوا لا يجوز إتلاف هذه الأموال حتى ولو كانت خاصة بالسلطان ووضعها تحت التراب بل لا بد أن يستفيد بها المسلمين، وبعد أخذٍ ورد قرروا فتح الصندوق، لكنهم أخذتهم الدهشة والحيرة عندما رأوا أن الصندوق ليس مملوء بالأموال أو ما شابه ذلك، لكنهم وجدوه ممتليء بفتاوی العلماء والتي كان لا يعمل أي شيء دون فتواهم وهي التي حولها إلى قوانين، فراح القاضي ومفتى الدولة العثمانية الشيخ أبو السعود يبكي قائلاً: "أنقذت نفسك يا سليمان، أي سماء تظلنا وأي أرض

تقى إن كنا مخطئين في فتاوينا". وهكذا نجد أنه لم يكتف بالمجد العسكري فقط، بل جمع معه أمجاداً أخرى، منها هو يطلق عليه لقب القانوني، وكذلك حاز لقب سلطان المثقفين ومثقف السلاطين.

هذا السلطان الذي لما علم المسلمون بخبر وفاته عمّهم الحُزن، بينما على الجانب الأوروبي ما فرح النصارى بموت أحد بعد بايزيد الأول ومحمد الفاتح مثل فرّحهم بموت السلطان سليمان القانوني الحاكم المجاهد، حتى أنهم جعلوا يوم وفاته عيّداً من أعيادهم، ودقّت أجراس الكنائس في أوروبا فرحاً بموته. رحم الله السلطان العثماني البطل سليمان القانوني وجمعنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين في الفردوس الأعلى من الجنة، جزاء ما قدم من خدمات جليلة للإسلام والمسلمين، ولعن الله من شوّه صورته، وزوّر تاريخ النظيف الناصع. والحمد لله رب العالمين.

نشاط الفهم والاستيعاب

- يُكْمِلُ الطُّلَّابُ فِي ثُنَائِيَّاتٍ قَائِمَةً الدُّرُوسِ التَّرْبُوِيَّةِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ الدُّرُسِ

 1. في تاريخنا عظماء ومظلومون كثيرون.
 2. العمل في سبيل رفعة هذه الأمة شرف كبير لكل إنسان، فاجتهد في مجالك.
 3. للجهاد في سبيل الله أشكال كثيرة، وليس له سن محدد، فكن مجاهداً في عملك لصالح أمتك.

أسئلة للاستيعاب

1. لماذا لقب بالقانوني؟ ولماذا سمّاه أبوه بـ "سليمان"؟
2. ما الصفات التي كان يتمتع بها السلطان سليمان القانوني؟
3. ما الفرق بين السلطان سليمان القانوني وهو شابٌ والشباب في سنه هذه الأيام؟
4. برأيك، ما دور الآباء نحو الأبناء في أيامنا هذه؟ اضرب أمثلة ناجحة من واقعك.
5. برأيك، ما دور الأبناء نحو الآباء في أيامنا هذه؟ اضرب أمثلة ناجحة من واقعك.
6. برأيك، ما دور الشباب نحو بلدتهم وأمتهם في زماننا؟ هات أمثلة ناجحة من واقعك.
7. ما أهمية تعلُّم أكثر من لغة في أيامنا هذه؟
8. كيف يخطط الأب / المعلم لتربية أبنائه - بحسب ما ورد في هذا الموضوع؟
9. لماذا حاولت بعض بلدان الخلافة العثمانية الخروج عليها أول ولاية القانوني؟
10. تكلم عن جهاد الخليفة سليمان القانوني في كل من أوروبا وإفريقيا وفي آسيا؟
11. كم كانت مساحة الدولة التي سلمتها القانوني؟ وكم بلغت لما تركها؟ وعلام يدلّ؟
12. ماذا تعرف عن القائد الكبير ببروسا، وفتواحاته الإسلامية على السواحل الأندلسية؟

13. ما الجهد التي قام بها القانوني في توسيعة بيت الله الحرام؟
14. تكلم عن جهاد القانوني وهو في سن 73 من عمره، موضحا رأيك.
15. هل للمكتبات دور في رقي الأمم؟ ووضح ذلك.
16. تكلم عن المكتبة السليمانية من حيث:
 - من أنشأها؟ وأين؟ وعدد الكتب والمخطوطات التي كانت فيها؟
17. ماذا عن حكایة السلطان والصندوق والقبر! وما رأيك؟
18. (الآن طاب الموت). من قائل العبارة؟ وما معناها؟ وما مناسبتها؟

وفي الختام نتمثل قول القائل:

كَتَبْتُ وَقَدْ أَيْقَنْتُ يَوْمَ كِتَابِي
بِأَنْ يَدِي تَفَنَّى وَيَبْقَى كِتَابُهَا
فَإِنْ كَتَبْتُ خَيْرًا سُتُّجَزَى بِمَثْلِهِ
وَإِنْ كَتَبْتُ شَرًّا عَلَيِّ حَسَابُهَا

وَمَا مِنْ كَاتِبٍ إِلَّا سَيْفَنَى
وَيُبْقِي الْدَّهْرُ مَا كَتَبْتُ يَدَاهُ
فَلَا تَكُنْتُ بِكَفَّكَ غَيْرَ شَيْءٍ
يَسُرُّكَ فِي الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ

وَإِلَيْكَ أَخْانَا الْقَارِئُ هَذَا الْبَيْتُ.

وَإِنْ تَجِدْ عَيْنَاهُ فَسُدَّ الْخَلَالُ
فَجَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَالَ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَامِ ..

وَكَتَبَهُ:

د. عبد الجود أحمد السيوطي

د. السيد عزت السيد أبوالوفا

المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- 1. ابن كثير. كشف الظنون، حاجي خليفة.
- 2. إرشاد القاصي والداني إلى تراجم شيوخ الحافظ أبي القاسم الطبراني، للمنصوري.
- 3. الأنساب، عبد الكريم السمعاني المروزي.
- 4. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي.
- 5. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي.
- 6. تاريخ دمشق. ابن عساكر. تاريخ الرسل والملوك، الطبرى.
- 7. تاريخ دولة آل سلجوقي، العماد الأصفهانى.
- 8. تهذيب الأسماء واللغات، النووي.
- 9. الدر الثمين في أسماء المصنفين، تاج الدين ابن الساعي.
- 10. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب. ابن فرحون اليعرى.
- 11. السلاغقة تاريخهم السياسي والعسكري د. محمد عبد العظيم أبو النصر.
- 12. سير أعلام النبلاء للذهبي. البداية والنهاية.
- 13. الشبكة العنكبوبية. عديد من الواقع التاريخية.
- 14. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلى.
- 15. طبقات الشافعية لابن الهدایة.
- 16. طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة.
- 17. طبقات الشافعية، تاج الدين السبكي.

18. طبقات الشافعيين، ابن كثير.
19. طبقات الفقهاء الشافعية، أبو عمرو ابن الصلاح.
20. طبقات المفسرين للداودي، شمس الدين الداودي.
21. العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، ابن الملقن المصري.
22. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» عادل نويهض.
23. معجم المؤلفين، رضا كحالة. الأعلام للزركلي.
24. المتنظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي.
25. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الحنفي.
26. هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل باشا البغدادي.
27. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي.
28. وفيات الأعيان، ابن خلkan.

فهرس الموضوعات

7	إهداء
9	المقدمة
13	1- ضِمَادُ بْنُ ثَعَبَةَ الْأَزْدِيِّ وَأَجْوَرٌ لَا تَنْقُطُعُ!
13	التعريف به
14	قصة إسلامه رضي الله عنه
15	قمة الأدب مع رجاحة العقل
15	الرفق يكون سبباً في الخير.
17	وقفات مع الداعية وأهل الدعوة!
20	نشاط الفهم والاستيعاب
21	أسئلة للاستيعاب
23	2- الإِمَامُ الْأَعْظَمُ الْفَقِيهُ وَالْمُرْبِّي
23	نشأته - رضي الله عنه
24	من أمارات علمه وورعه وتواضعه - رضي الله عنه
26	من تلامذة الإمام
26	منهجية راشدة مميزة نفتقر إليها!
29	كلمة طيبة أخرجت أفقه أهل زمانه!
29	أبو حنيفة المري الناجح!
30	(فائدة)
32	أبو حنيفة وتولى القضاء
34	من جميل ما قيل في حقه - رضي الله عنه
34	وفاته - رضي الله عنه -
35	نشاط الفهم والاستيعاب
36	أسئلة للاستيعاب
39	3- الإمام البخاري وحفظ السنة
39	التعريف به
40	أصلًا التشريع في الإسلام
41	الأرض الطيبة تخرج غراساً طيباً!
41	حرص الأم على تعليم ابنها وبلغه أعلى الدرجات!
43	فائدة للأمهات

43	شيخ البخاري وأساتذته
44	أهم مصنفات الإمام البخاري وسبب تأليفه
45	إطلالة على سبب تأليف كتاب صحيح البخاري.
47	نشاط الفهم والاستيعاب
48	أسئلة للاستيعاب
50	4- محمد بن القاسم.. القائد المظلوم
50	التعریف به
50	محمد بن القاسم نموذجٌ مشرفٌ لكن ظلمه التاريخ
52	سبب فتح بلاد السندي
53	محاولة أولى غير ناجحة!
53	قائدٌ فدّ ومهمةٌ خطيرة!
54	تنويه للشباب المسلم!
54	شرط الحجاج! وشرط القائد الفذ!
55	محمد بن القاسم يستكمل مسيرة الجهاد وفتح بلاد السندي.
55	ابن القاسم ضحية الخلافات الشخصية.
56	نبا العزل و موقف الأنصار.
57	ابنة الملك "داهر" وفريتها الشنيعة!
58	قضايا ووصايا!
60	نشاط الفهم والاستيعاب
61	أسئلة للاستيعاب
63	5- البوطي.. صبره و ثباته
63	التعریف به.
63	ظهور بدعة خلق القرآن!
64	ابن أبي دؤاد ودوره في فتنة خلق القرآن!
65	الفتنة القديمة الجديدة!
65	الظلم وإساءة استخدام السلطة!
66	البوطي أمام الوالي!
67	إهانة العلماء الشقة ذنب عظيم!
67	حين يبلغ إيذاء الصالحين مبلغه!
68	في صبر الصالحين على المحنـة لنا آية!
68	مكر أهل الباطل! و ثبات على الموقف.
69	الثبات على الموقف رغم التعذيب!
70	رسالة الصالحين المصلحـين!

- موت واستشهاد في سبيل الحق! 70
- نشاط الفهم والاستيعاب 72
- تدريبات الاستيعاب 73
- 6- القفال الصغير وطلب العلم كثيراً 75
- التعريف به. 75
- القال وطلب العلم. 76
- ولنا معه وقفة! 77
- نصيحة المعلم ونتيجة الأخذ بها. 77
- القال وبداية طلب العلم 78
- قالوا عن القفال الصغير 78
- فوائد من حياة القفال. 80
- نشاط الفهم والاستيعاب 83
- أسئلة للاستيعاب 84
- 7- سلجوق بن دقيق وقرار الإسلام 86
- التعريف به. 86
- جهاد سلجوق وأبناؤه في سبيل الإسلام. 86
- سلجوق بن دقيق والجهاد بعد الثمانين!! 87
- مفارة.. أصحاب الثمانين في أيامنا!! 88
- الأحقاد آفة كل الأزمنة! وقد يأتي الخير من الشر. 88
- البحث عن الحقيقة ودخول الإسلام. 89
- خياركم أظلوكم أعماماً وأحسنكم أعمالاً! 90
- استثمار الأوقات في أعمال البر والخيرات. 90
- وعلى أصحاب الخبرات والتجاربأمانة! 90
- وأنت.. أيها الشاب الحبيب! 91
- وبعد طول عمر في خدمة الإسلام 91
- نشاط الفهم والاستيعاب 92
- أسئلة للاستيعاب 93
- 8- ابن حزم من الوزارة إلى العلم 95
- التعريف به. 95
- ابن حزم المؤسس الثاني للمذهب الظاهري. 95
- ومما قيل فيه رحمة الله. 96
- ابن حزم وبداية طلب العلم 97
- من المحن تأتي المٌتّح! 98

- ابن حزم والمحنة التي صارت منحة!
البداية بالموطأ! 98
- ابن حزم والدرس المستفاد!
نشاط الفهم والاستيعاب 99
- أسئلة للاستيعاب
نشاط الفهم والاستيعاب 100
- التعريف به
سيرة الوظيفية المُشرفة. 102
- ابن عيسى عملاق في زمن الأقزام.
رحيم في زمن القساتاً! 103
- حياته رحمه الله بعد الوزارة.
ما قيل عنه رحمه الله! 104
- فائدة:
نشاط الفهم والاستيعاب 105
- أسئلة للاستيعاب
السلطان المفترى عليه! 106
- التعريف به.
السلطان المفترى عليه! 107
- دور الأب المُرَيِّ في حياة سليمان القانوني!
إضاءة! 108
- من صفات سليمان القانوني الشخصية وإمكاناته
سبب شهرته بالقانوني! 109
- فلسفة قوانين الخليفة سليمان القانوني.
إنجازات سليمان القانوني في فترة توليه الحكم. 110
- القانوني والقائد الكبير ببروسا.
الجوانب الحضارية في حياة القانوني 111
- الاهتمام بالعلم من سمات الحكم الصالحين!
جهاد وتصحية رغم السن والمرض! 112
- السلطان والصنادوق والقبر!
نشاط الفهم والاستيعاب 113
- أسئلة للاستيعاب
المراجع والمصادر 114
- التعريف به
سيرة الوظيفية المُشرفة. 115
- ابن عيسى عملاق في زمن الأقزام.
رحيم في زمن القساتاً! 116
- حياته رحمه الله بعد الوزارة.
ما قيل عنه رحمه الله! 117
- التعريف به.
السلطان المفترى عليه! 118
- دور الأب المُرَيِّ في حياة سليمان القانوني!
إضاءة! 119
- من صفات سليمان القانوني الشخصية وإمكاناته
سبب شهرته بالقانوني! 120
- فلسفة قوانين الخليفة سليمان القانوني.
إنجازات سليمان القانوني في فترة توليه الحكم. 121
- القانوني والقائد الكبير ببروسا.
الجوانب الحضارية في حياة القانوني 122
- الاهتمام بالعلم من سمات الحكم الصالحين!
جهاد وتصحية رغم السن والمرض! 123
- السلطان والصنادوق والقبر!
نشاط الفهم والاستيعاب 124
- أسئلة للاستيعاب
المراجع والمصادر 125
- التعريف به
سيرة الوظيفية المُشرفة. 126
- ابن عيسى عملاق في زمن الأقزام.
رحيم في زمن القساتاً! 127
- حياته رحمه الله بعد الوزارة.
ما قيل عنه رحمه الله! 128
- التعريف به.
السلطان المفترى عليه! 129
- دور الأب المُرَيِّ في حياة سليمان القانوني!
إضاءة! 130